الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: علوم إنسانية

فرع التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط وسيط الموسومة بـ:

أثر الفتن والحروب في هجرة الأندلسيين

إلى المغرب الأوسط خلال القرنين

(7–9هـ/13–15م)

إعداد الطلبة:

- كصار عبد الرحمن.
- ناصر مصطفى
- قشابي عبد الله.

إشراف الأستاذ:

أ. حاكمي الحبيب

أعضاء لجنة المناقشة

أ.جغدان بو عبد الله ..... رئيسا

أ. حاكمي الحبيب..... مشرفا

أ. زلماط إلياس..... مناقشا

السنة الجامعية:

1437– 1438هـ الموافق لـ 2016– 2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

تغمرني السعادة إذ أقدم جهدي المتواضع وبحثي البسيط في
خاتمة مشواري الجامعي في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، إلى
أصحاب الفضل وصانعي الجميل بدءا من:

الوالدين الكريمين، إلى جميع المشايخ
وجميع إخواني وأخواتي.
إلى جميع أقاربي وأهلي الذين انتظروا نجاحي بشوق كبير.
إلى طاقم الأساتذة وخاصة الأستاذ حاكمي،
إلى جميع الزملاء والزميلات في الدراسة الجامعية خلال مشواري
الجامعي.
إلى كل من ساعد في إنجازي المتواضع من بعيد أو قريب.

إلى الجميع أرفع هذا العمل مع كامل الإمتنان والتقدير

عبد الرحمن

إهداء

الحمد والشكر لله العلي القدير الذي وفقنا لإتمام هذا العمل
المتواضع الذي حاولت إن أقدمه على أحسن وجه.فلا يسعني إلا أن
اهدي ثمرته إلى السند الذي اسند له ظهري، إلى من كانا لي
بعونهما النور الذي اهتدي به في مسار حياتي وهما الوالدين أطال الله
في عمرهما.
وجميع إخواني وأخواتي.
إلى جميع أقاربي وأهلي الذين ساهموا
ولو بالقدر القليل في هذا النجاح،
إلى طاقم الأساتذة وخاصة الأستاذ حاكمي،
إلى جميع الأصدقاء والزملاء والزميلات في الدراسة الجامعية خلال
مشواري الجامعي.
إلى كل من ساعد في إنجازي المتواضع من بعيد أو قريب ولو
بالكلمة الطيبة.

إلى الجميع أرفع هذا العمل مع كامل الإمتنان والتقدير

مصطفى

إهداء

الحمد لله بادئ البدء على فضله وعونه في إتمام هذا البحث

المتواضع الذي أهديه إلى: من كانوا عونا لي

الوالدين الكريمين العزيزين الحبيبين الغاليين أطال الله في عمرهما،

إلى جميع إخواني وأخواتي.

إلى جميع أقاربي وأهلي الذين انتظروا نجاحي بفارغ الصبر

ودعموني في ذلك.

إلى طاقم الأساتذة وخاصة أستاذنا العزيز القدير: الحبيب حاكمي،

إلى جميع من واكبتهم خلال هذا المشوار الدراسي الجامعي .

إلى كل من ساعد في إنجازي المتواضع من بعيد أو قريب.

إلى الجميع أرفع هذا العمل مع كامل الإمتنان والتقدير

عبد الله

كلمة شكر وعرفان

- مصداقا لقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم "
- واقتداءً بقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

الحمد لله الذي وفقنا وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على الرسول الحبيب صاحب المقام الرفيع والحوض البديع، نتقدم بالشكر وجميل العرفان إلى الأستاذ حاكمي الحبيب الذي لم يكن مشرفا وحسب بل أخا وزميلا رافقنا طوال فترة بحثنا ولم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات، كما نتقدم بشكر كل أساتذة قسم التاريخ وإلى كافة طلبة السنة الثانية ماستر

- إلى كل من علمنا حرفا وكان لنا عونا.

عبد الرحمن-مصطفى-عبد الله

شكر و عرفان

- مصداقا لقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم "

- واقتداءً بقوله صلى الله عليه وسلم " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

الحمد لله الذي وفقنا وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على الرسول الحبيب صاحب المقام الرفيع والحوض البديع، نتقدم بالشكر وجميل العرفان إلى الأستاذ حاكمي الحبيب الذي لم يكن مشرفا وحسب بل أخا وزميلا رافقنا طوال فترة بحثنا ولم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات، كما نتقدم بشكر كل أساتذة قسم التاريخو إلى كافة طلبة السنة الثانية ماستر

- إلى كل من علمنا حرفا وكان لنا عونا.

مصطفى

قائمة المختصرات

م: مجلد.

ج: جزء.

(.....): حذف

ص: صفحة.

ص. ص: من صفحة كذا إلى صفحة كذا.

ضب: ضبط.

ط: الطبعة.

ط.خ: طبعة خاصة.

ع: العدد.

مرا: مراجعة.

إ.ع: إعداد.

إ.ش:إشراف.

د.م: دون مكان.

تق: تقديم.

تح: تحقيق.

تد: تدقيق.

تر: ترجمة.

درا: دراسة.

تص: تصحيح.

تع: تعليق.

هـ: هجري.

م: ميلادي.

د.ت: دون تاريخ.

د.ط: دون طبعة.

ت: تاريخ الوفاة.

ع: العدد

موفم: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

مقدمة

لقد كان القرن السابع هجري (الثالث عشر ميلادي) بداية أفول شمس المسلمين في بلاد الأندلس التي حكموها عقودا طويلة من الزمن، استطاعوا من خلالها أن يبهروا العالم بالحضارة الإسلامية العظيمة التي شيدوها بتلك البلاد.

في الوقت الذي كان فيه المسلمون منشغلين بالصراع والاختلافات والفتن من أجل السلطة والحكم، واشتد ذلك الصراع والتفرق خاصة بعد انهيار سلطان الموحدين ببلاد الأندلس، فاستغل النصارى المتربصون هذه الفرصة التي كانوا ينتظرونها منذ أمد بعيد، فهبت لذلك أوربا المسيحية كلها لنصرة الصليب، ونشطت بذلك الحملات الصليبية التي جسدوها على أرض الواقع، ولعل السقوط المتوالي للحواضر الإسلامية الأندلسية وخاصة بعد معركة العقاب خير شاهد على ذلك،

لقد كان لهذا الزحف الصليبي أثر كبير على سلطان الإسلام، فلقد خسر المسلمون بسقوط الأندلس حضارة دلت على عظمة الإسلام والمسلمين، وموطنا رفعت فيه راية الإسلام عالية، إلا أن هذه الحركة الشنيعة للنصارى جعلت أهل الأندلس مجبرين على الاختيار بين الهجرة أو التهجير أو التقتيل أو التنصير، فاختار معظم الأندلسيين الهجرة وربما هي السمة التي اتسمت بها الشخصية الأندلسية منذ البدايات الأولى للتواجد الإسلامي على أرض الأندلس.

نظرا للقرب الجغرافي بين العدوتين، وكذلك التاريخ المشترك بينهما، حيث كانت بلاد الأندلس ولاية تابعة للمغرب، هذا الأمر جعل أكثر النازحين والمهجرين يفدون على بلاد المغرب، وربما الاستقرار الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط وخاصة بعد سقوط الدولة الموحدية، الذي نجم عنه قيام دولتين مستقلتين، الأولى تمثلت في الدولة الحفصية شرق المغرب الأوسط بإفريقية والتي كانت حاضرة بجاية تابعة لها، والثانية الدولة الزيانية التي كانت تلمسان عاصمة لها، كل هذه الأسباب جعلت الأندلسيين يختارون بلاد المغرب الأوسط لتكون أرض هجرتهم

ومكان إقامتهم، حيث أنهم وجدوا الترحيب من طرف أهل المغرب الأوسط وخاصة من حكام الدولتين.

لقد كان لإقامة الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط آثارا إيجابية عادت بالنفع الكثير على البلاد، حيث كانوا سببا في تطور البلاد وازدهارها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعمرانيا.

إن دراسة هذا الموضوع تهدف إلى الإشارة إلي المعاناة التي عاشها أهل الأندلس، وإبراز الخطر النصراني الحاقد على الإسلام والمسلمين، ونهدف من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على كيفية استقبال أهل المغرب الأوسط للمهاجرين الأندلسيين، وكذلك الدور الكبير الذي قدمه الأندلسيون، الذي ساهم بدون شك في ازدهار وحضارة المغرب الأوسط.

لدراسة هذا الموضوع والغوص فيه أكثر لا بد لنا من طرح الإشكال الآتي:

ما هي الأسباب التي جعلت الأندلسيين يتركون بلادهم وممتلكاتهم؟ ولماذا كان اختيارهم لبلاد المغرب الأوسط لتكون مقرا جديدا لهم؟ وكيف استطاعوا أن يساهموا في ازدهار وحضارة المغرب الأوسط؟

للإجابة على هذه الإشكالية لابد من التعرض إلى المحاور التالية:

- ما طبيعة الأوضاع التي ميزت بلاد الأندلس في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن العاشر هجريين ومدى تأثير معركة العقاب على موازين القوى في المنطقة.

– اجتماع كلمة النصارى واتحادهم من أجل تجسيد مخططهم في القضاء على المسلمين بالأندلس، وأثر هذا الاتحاد في الاستيلاء علي بلاد الأندلس وحواضره .

– ضعف الدولة الموحدية وسقوطها، كان له أثره الواضح على الأندلس من خلال سقوط الحواضر الإسلامية بالأندلس .

– رحابة أهل المغرب الأوسط واستقرار الأوضاع به، جعلت أغلب المهاجرين يختارونه ليكون دار هجرتهم، ودور ملوك وأمراء المغرب الأوسط في احتواء هؤلاء المهاجرين .

– البيوتات الأندلسية كان لها دور كبير في الساحة السياسية والعلمية ببلاد المغرب الأوسط.

–الدور الكبير الذي قام به المهاجرون الأندلسيون للنهوض بحضارة واقتصاد بلاد المغرب الأوسط، ومدي تأثّر المغاربة بهم .

للإجابة على كـل هذه التساؤلات، اتبعنا في بحثنا هذا على المنهج السردي الوصفي، وذلك من خلال وصف بعض الأحداث والوقائع التاريخية في تلك الحقبة الزمنية التى كانت محل دراستنا، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي، من اجل شرح وتحليل بعض الأحداث والوقائع للخروج بنتائج وتصورات، واعتمدنا أيضا على المنهج المقارن للمقارنة بين حضارة البلدين الأندلس والمغرب للوصول إلى مدي تأثير المهاجرين الأندلسيين على الحضارة المغربية.

لقد واجهتنا بعض الصعوبات التى من بينها :

– قلة المصادر وحتى المراجع التي تسلط الضوء أكثر على الهجرة الأندلسية وعلى التأثير الأندلسي في بلاد المغرب الأوسط، كذلك غياب الدراسات الجزائرية لهذا الموضوع، بخلاف الدول المغربية الأخرى، مثل تونس والمغرب التى وجدنا عدة دراسات تهتم بدراسة هذا الحدث الهام ومدي تأثيره في بلدانهم .

– صعوبة حصولنا على بعض المصادر التاريخية لعدم توفرها بمكتبات الولاية، وتعذر علينا أن نطلبها من خارج الولاية .

أما بالنسبة للدراسات التي تناولت هذا الموضوع نذكر منها:

-رسالة الدكتوراه لمحمد سعداني تحت عنوان "الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من ق 7هـ إلى 9 هـ"، لكن هذه الدراسة تناولت حاضرة بجاية الحفصية فقط .

- رسالة ماجستير لعمارة سيدي محمد تحت عنوان هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7 هـ " هذه الدراسة ركزت علي التأثير الثقافي الأندلسي ببلاد المغرب الأوسط .

من اجل انجاز هذا البحث استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع العربية والمترجمة، بالإضافة إلى بعض المقالات والرسائل الجامعية، فمن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها نذكر :

ـ الطبقات والتراجم:

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس احمد بن احمد الغبريني (644-714 هـ)، يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة التي اعتمدنا عليها في بحثنا ، لأن يحوي علي عدة ترجم لشخصيات علمية أندلسية حلت بحاضرة بجاية .

-الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (ت776 هـ)، هذا الكتاب ساعدنا كثيرا في الحصول علي تراجم لعلماء وشخصيات سياسية أندلسية استوقفتنا في بحثنا .

ـ التاريخ العام:

-البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب لآبي العباس احمد بن محمد بن عذاري (ت بعد 712هـ)، خاصة قسم الموحدين الذي وجدنا فيه كما هائلا من المعلومات عن كثير من الأحداث والوقائع التى كانت في الأندلس والمغرب مثل معركة العقاب وسقوط بعض الحواضر الأندلسية .

-المعجب في تلخيص أخبار المغرب لأبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي (كان حيا سنة 621هـ)، تكمن أهمية هذا الكتاب كون صاحبه عاصر دولة الموحدين وكان مقربا منهم ، فأمدنا بمعلومات عن معركة العقاب وأسبابها وعن طبيعة بلاد الأندلس والمغرب .

- عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ) : كتاب المقدمة الذي أخذنا منه بعض التعريفات وبعض الإشارات إلى تأثير الحضارة الأندلسية وأهميتها، وكتاب العبر الذي أفادنا كثيرا في التقصي عن بعض الوقائع والأحداث التاريخية، وفي ذكر بعض التأثير الأندلسي ببلاد المغرب الأوسط .

-نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر لمؤلف مجهول، أفادنا هذا الكتاب بمعلومات كثيرة وهامة عن سقوط غرناطة وهجرة الأندلسيين منها إلى المغرب الأوسط .

الجغرافيا :

-الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحِمْيَري (ت727 هـ)، الذي أخذنا منه بعض المعلومات التاريخية، وتعاريف لبعض المدن الأندلسية والمغربية .

-معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)، هذا الكتاب من المصادر الجغرافية الهامة ، والذي استفدنا منه في التعريف لبعض المدن الأندلسية والمغربية .

ـ النوازل والفتوى:

-أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، لأبي العباس احمد بن يحي بن محمد التلمساني الونشريسي (834-914هـ)، أخذنا من هذا الكتاب بعض الفتاوى التى تأمر بالهجرة من الأندلس .

أما بالنسبة للمراجع التى اعتمدنا عليها نذكر:

-عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الذي يحتوي علي معلومات هامة عن المرحلة الأخيرة في حياة الأندلس قبل سقوطها.

-عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الذي أخذنا منه بعض المعلومات عن التأثير الأندلسي في حاضرة تلمسان .

أما بالنسبة للخطة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، فقد قسمنا بحثنا إلي ثلاثة فصول بكل فصل أربعة مباحث، حيث مهدنا لهذه الفصول الثلاثة بمدخل عرفنا فيه الهجرة ، وتحدثنا أيضا فيه عن القرب الجغرافي بين الأندلس والمغرب الأوسط وتأثيره في الهجرة .

الفصل الأول كان تحت عنوان الفتن والحروب في بلاد الأندلس، والذي قسمناه إلي أربعة مباحث، المبحث الأول خصصناه لمعركة العِقاب وكيف كان تأثيرها على بلد الأندلس، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلي سقوط الدولة الموحدية، وما نجم عنه في تهاوي الأندلس وسقوطه، وظهور لبعض الدول المستقلة ببلاد المغرب الأوسط، والمبحث الثالث تناولنا فيه سقوط الحواضر الإسلامية،أما المبحث الرابع والأخير خصصناه لسقوط مملكة غرناطة .

أما بالنسبة للفصل الثاني فكان عنوانه مظاهر الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط، المبحث الأول منه كان عنوانه البدايات الأولي لهجرة الأندلسيين، والمبحث الثاني خصصناه للحديث عن بلاد المغرب الأوسط وكيف كان استقبالها للمهاجرين الأندلسيين، المبحث الثالث ذكرنا فيه بعض الشخصيات السياسية و العلماء الذين هاجروا إلى بلاد المغرب الأوسط، أما المبحث الرابع والأخير خصصناه لذكر بعض البيوتات الأندلسية التى استقرت بالبلاد .

الفصل الثالث والأخير جعلنا عنوانه، تأثير المهاجرين الأندلسيين على بلاد المغرب الأوسط، والذي قسمناه كذلك إلى أربعة مباحث، المبحث الأول يتحدث عن هذا التأثير من الناحية الثقافية، والمبحث الثاني يبرز هذا التأثير على الحضارة والعمران، أما المبحث

الثالث فأشرنا فيه إلى التأثير الاجتماعي للمهاجرين الأندلسيين، أما المبحث الرابع والأخير فتطرقنا فيه إلى التأثير الاقتصادي لهؤلاء المهاجرين.

ثم ختمنا بحثنا هذا بخاتمة هي عبارة خلاصة لكل ما سبق، ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من هذا البحث، ولقد ذيلنا بحثنا بمجموعة من الملاحق.

هذا فان أصبنا فمن الله وحده وان أخطانا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله هو الموفق والهادي إلى أقوم سبيل، وما توفيقي إلا بالله.

فصل تمهيدي

القرب الجغرافي ودوره في تشجيع الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط

أولا– تعريف الهجرة:

"هي في أصل الاسم من الهجر وهي ضد الوصل، والخروج من أرض إلى أخرى، وأصل الهجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن وتعني الترك، إذ يقال هجر الشيء وهجره أي تركه ،كذلك الابتعاد حيث يقال هجر الرجل هجرا إذ تباعد ونأى"[1].

كما أننا نجد للهجرة عدة معاني منها: هاجر بمعنى ترك وطنا وتغرب عنه، والمهاجرة هي الهجرة، والمكان الذي يهاجر إليه أو منه يطلق عليه مصطلح المهجر، والهجرة لا تكون إلا بالانتقال من أرض إلى أرض أخرى[2].

تطرق ابن خلدون في كتابه المقدمة لمفهوم الهجرة وفرق بينها وبين التغرب أو العيش بعيدا عن أرض الوطن، فالتغرب والهجرة مصطلحان متضادان، ففي صدر الإسلام نجد أنه كان لهذين المصطلحين دور كبير في الحياة السياسية وحتى الدينية، حيث يمكن اعتبار الرجل الذي يغادر أهله وقومه من أجل الجهاد ونشر الدين أنه مهاجر، وبصيغة أخرى يعتبر الجهاد في حد ذاته غربة وتغربا عن الوطن، كما شبه التغرب والهجرة بالرجل الأعرابي البدوي الذي يترك بيئته التي خلت من كل مصادر الكلأ التي ترعى فيها ماشيته إلى بيئة أخرى تحتوي على خيرات كأراضي خصبة ذات غطاء نباتي وثروة مائية تكون له بمثابة ملكا شخصيا لا يمكن أن يستغني عنه حتى وإن كلفه ذلك التقاتل من أجلها[3].

وبلاد المغرب الإسلامي بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي تعتبر همزة وصل بين الأندلس والمشرق، حيث كان الأندلسيون يهاجرون من بلادهم إلى المغرب، وذلك منذ أن حل بهم

[1]– ابن منظور جمال الدين، محمد بن مكرم الأنصاري (630– 711هـ) لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، ج7، ص:100، 111.

[2]– إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث، بيروت، ص 982.

[3]– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1997م، ص:216، 217.

الضعف والتقهقر في البلاد أيام ملوك الطوائف، خاصة بعد حصول الفتن وكثرتها والتي كانت سببا سقوط المدن الأندلسية وانهيارها وازدياد التحرشات الصليبية عليها[1].

يقول الونشريسي:"إن الهجرة من ارض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل"[2]، ونفهم من قوله هذا أنه كان يقصد بأن أرض الحرام والباطل بلاد الأندلسيين حيث إنها مازالت بها أرض إسلامية لكنها أرض ظلم وفتنة والنصارى يتربصون بها للقضاء على الدين الإسلامي من كامل شبه الجزيرة الإيبيرية وطرد هؤلاء المسلمين[3].

ويقول في موضع آخر نقلا عن أشهب فيما يرويه عن مالك "لا يقيم أحدكم في موضع يعمل فيه بغير الحق" وبهذا القول فهو يشرع الهجرة إلى بلاد الإسلام فأينما رحل أو هاجر فسيهاجر إلى بلد تقل فيه المظالم وأكل الحرام.

وقوله تعالى: ﴿ فَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنَ اَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَاُوْلَٰٓئِكَ مَأْوِيٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴿٩٦﴾ ﴾[4].

وهنا نجد أن المسلمين إذا كان لهم القدرة على الهجرة فليهاجروا والآية توضح ذلك.

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المهاجرون الأندلسيون وتأثيراتهم على بلاد المغربين الأدنى والأوسط خلال القرنين(7-8هـ/13-14م)، جامعة الزاوية، ليبيا، ط1، 2013م، ص: 69.

[2]- احمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ)، المعيار المعرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، إش: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ1981م، ج2، ص121.

[3]- المصدر نفسه، ص:121.

[4]- سورة النساء، الآية: 96.

كما نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على الهجرة والفرار من البلاد التي يكثر فيها الفتن فقال: { يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن }[1].

ثانيا– القرب الجغرافي ودوره في تشجيع الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط:

من الملاحظ أن الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي وخاصة بلاد المغرب الأوسط بحكم موقعهما الجغرافي غير المتباعد، ساعد على التواصل بينهما والتحرك بدون عوائق سواء عن طريق السواحل أو عن طريق البر، فالمؤرخون الجغرافيون كالبكري مثلا نجده يورد في كتابه فصلا كاملا لرسم خريطة تحوي موانئ المغرب الأوسط، كمرسى مدينة تنس وما يقابلها من العدوة الأندلسية[2] شنتبول[3].

كما أشار إلى هذا التقارب ذلك جل الجغرافيين، فابن حوقل ذكر في كتابه "...وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها"[4]، وكذلك الأصطخري ذكر في كتابه"وأما تنس فهي مدينة كبيرة وهي عدوة إلى الأندلس"[5]، ومن هنا فهم كلهم يقرون ويتوافقون في قرب العدوتين من بعضهما ببعض.

---

[1]– ابي عبد الله بن محمد بن اسماعيل البخاري(194–256هـ)،صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق،بيروت، ط1(1463هـ/2006م)، رقم :19، ص:15

[2]– محمد سعيداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين (13–15م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية: 1436–1437/2015–2016)، ص:120.

[3]– أبو عبيد البكري 487هـ،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب(جزء من كتاب المسالك والممالك)،دار الكتاب الاسلامي،القاهرة(1857)ص:727.

[4]–أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1996، ص:78.

[5]–أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري،كتاب المسالك والممالك،مطبع بريل، ليدن،1870م،ص:38.

بالإضافة إلى ذلك فإن الموانئ أو المراسي الموجودة ببلاد المغرب الأوسط والتي كانت همزة وصل بينها وبين موانئ الأندلس، وذلك لقربها الشديد منها ،كمرسى مدينة وهران الصغير أو الكبير وهذا ما أكده صاحب الروض المعطار "مدينة بحرية مصورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة"[1]، وهي قريبة من مدينة ألميرية في الأندلس مثلما يرى محمود مقديش، بالإضافة إلى المراسي الأخرى المقابلة للعدوة الأندلسية مثل مرسى شرشال الذي يقابله مرسي مديرة، مرسى الدجاج الذي يقابله من بر الأندلس جزيرة ميورقة .

وانطلاقا من هذا فإن البكري يشير إلى وجود علاقة جغرافية وطبيعية وثيقة بين العدوة الأندلسية والعدوة المغربية[2].

وهذا ما فسره الاتصال الذي كان سائدا بين أهل العدوتين وخاصة الأندلس، فنجد أن الكثير من المدن الساحلية الموجودة ببلاد المغرب الأوسط، قام بتأسيسها وبنائها التجار الأندلسيون مثل تنس وهران وتدلس وذلك لتسهيل التواصل ما بين الجهتين الذي يتم غالبا عبر البحر.

يضاف إلى القرب الجغرافي أن أحوال الطقس والمناخ السائدة في الساحل المغربي تتشابه مع مناطق الأندلس خاصة الساحلية منها، هذا ما جعل الاستقرار ميسرا للأندلسيين الوافدين إلى بعض المدن الساحلية المغربية.

إن الحديث عن التقارب الجغرافي بين العدوتين يدفعنا إلى التطرق إلى العامل الاقتصادي الذي هيأ إلي التقارب أكثر بين العدوتين، فوجود الثروات سواء كانت فلاحية أو حيوانية بالمدن الساحلية لبلاد المغرب، وكذلك توفر فرص العيش بها شجع الأندلسيين على الاستثمار

[1]-محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص:613.

[2]-محمود مقديش،نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار تح: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1988، ج1،ص:78.

في هذه المدن وتجديدها ومشاركة سكانها الأصليين في تعميرها وتطويرها اقتصاديا، بل وصل الأمر ببعض الأندلسيين إلى تشييد مدن جديدة.

ثالثا– الهجرة بين عصري المرابطين والموحدين:

1– ظهور المرابطين والموحدين في بلاد المغرب:

أ– المرابطون:

برز المرابطون[1] في بلاد المغرب مع عبد الله بن ياسين[2] الذي أسس رباطا ببلاد صنهاجة في وسط قبيلة لمتونة، وبدأت شوكتهم تقوى بعدة مرور الوقت، فبدأوا بإخضاع القبائل المعارضة لهم الواحدة تلوى الأخرى فكانت أول قبيلة جدالة ثم لمتونة ثم مسوفة[3]، فلما شهدت القبائل الصنهاجية قوة عبد اله ابن ياسين وجنوده، وما وقع من أحداث بادرت إلى مبايعته والدخول في طاعته، وحذت بقية القبائل حذوها، وفي سنة 448هـ ساروا نحو بلاد السوس[4]، واختار أبو بكر يوسف بن تاشفين[5] لقيادة الجيش المرابطي فأخضعوا بلاد جزولة وبلدة ماسة وتارودنت عاصمة بلاد السوس ثم عبروا جبال الدرن ودخلوا شفشاوة ونفيس واقليم جدميوة ثم ساروا نحو

---

[1]– المرابطون: (488هـ-541هـ/1056م-1147م)، هم فرع من الدرجة الثانية من قبيلة صنهاجة الجنوب، التي هي بطن من بطون البرانس، واتخذوا اللثام رمزا لهم، وسموا بالمرابطين لأنهم تتلمذوا في الرباط، الذي أنشأه عبد الله بن ياسين للعبادة والدراسة،في صحراء المغرب، وأشهر ملوكها يوسف ابن تاشفين الذي حكم من 453هـ-500هـ/1059-1106م؛ ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مرا: سهيل زكار، 2001م، ج6، ص:241.

[2]– هو تلميذ محمد وجاج بن زلو اللمطي، أول من بنى رباطا بالصحراء، وذلك بعد أن اصطحبه يحي بن إبراهيم إلى الصحراء قصد تعليمهم الدين الاسلامي، والرجوع إليه في الأمور الشرعية؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص:243.

[3]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص:243.

[4]– المصدر السابق، ص:244.

[5]– يوسف بن تاشفين (400هـ-500هـ/1006-1106م) هو يوسف ابن تاشفين ابن إبراهيم اللمتوني، ثاني أمراء الدولة المرابطية حكم 47 سنة يعتبر أول من سمي بأمير المؤمنين من ملوك المغرب؛ ينظر: بن أبي زرع الفاسي علي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، صور الطباعة والنشر، د ط، 1972، ص ص: 136، 137.

مدينة آغمات ودخلوها سنة 449هـ ثم دخلوا تادلة وتامسنة[1]، بعد ذلك شرعوا في تأسيس مدينة مراكش[2]، هنا حدثت مناوشات في الصحراء جعلت أبا بكر يشد الرحال إليها لفك النزاع الذي تمثل في إغارة قبيلة جدالة على قبيلة لمتونة وتلك يوسف بن تاشفين خلفا له، فواصل في تأديب القبائل المغربية من مغراوة وزناتة وبني يفرن ثم أنف عائدا إلى آغمات[3]، وفي سنة 454هـ خرج يوسف في جيش كثيف قاصدا فاس وتمكن من دخولها سنة 455هـ، ثم مضى إلى محاربة غمارة ورأى يوسف ضرورة إخضاع طنجة وسبتة فدخلوا طنجة، أما سبتة فقد استعانة يوسف بالمعتمد بن عباد وتمكن من اقتحامها برا وبحرا، سنة 477هـ، وتمكن يوسف من فرض سيطرته على المغرب الأقصى بعد أن أخضع كل القبائل التي مر بمدنها وفتحها، في هذا الوقت كان أبو بكر قد وطد العلاقات في الصحراء ورجع إلى الشمال فسار إليه يوسف للقائه في موضع بين آغمات ومراكش، وهو في هيئة الأمير هنا تيقن ابو بكر أن يوسف قد خلف مكانه وقد يفعل أي شيء من أجل بقاءه في السلطة فما كان عليه سوى أن أوصاه بالعدل والرفق بالمسلمين، واختاره نائبا عنه في حكم المغرب ثم عاد إلى الصحراء واستأنف جهاده إلى أن قتل في إحدى غزواته سنة 480هـ/1087م[4].

ما إن أصاب الضعف والهوان دولة المرابطين وأشرفت على نهايتها حتى خلفتهم دولة مغربية أخرى تمثلت في دولة الموحدين الذين أقاموا كيانا سياسيا قويا ببلاد المغرب.

[1]- بن ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص: 112، 113.

[2]- مراكش: كلمة بربرية تعني يمشي بسرعة، اختطها يوسف بن تاشفين، واتخذها المرابطون عاصمة لدولتهم، من (454-515هـ)، وهي مدينة عظيمة تقع في المغرب الأقصى على سفح جبال الأطلس، ولكن عظمة هذه المدينة لم تتحقق إلا في عهد الموحدين، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م، مج5، ص:94.

[3]- بن ابي زرع الفاسي ، المصدر السابق، ص: 102.

[4]- المصدر السابق، ص ص: 135، 136.

ب- الموحدون:

قامت الدولة الموحدية على أكتاف قبيلة مصمودة البربرية التي بايعت المهدي بن تومرت (515هـ/11121م) حيث فكر في تأسيس دولة منذ عودته من المشرق متجها نحو المغرب الأقصى ليلتقي بعبد المؤمن بن علي[1] في بجاية ويرحل معه ومجموعة من الطلبة الذين تم تعليمهم وتلقينهم التعاليم المهدوية إلى تلمسان[2] ومنها إلى فاس.

ولما توفي بن تومرت (524هـ/1129) خلفه عبد المؤمن بن علي الذي فرض نفسه وحكم الموحدين في بلاد المغرب من خلال الحروب التي كانت تخوضها مع المرابطين وذلك من أجل توحيد بلاد المغرب تحت سلطته وكانت له ميزة في حكمه بحيث أقصى قبائل المصامدة عن الحكم وقرب إليه القبائل العربية وجعل الحكم وراثيا في أسرته ولم يلتزم بأسس المذهب التومرتي إلى بعضها خوفا على مكانته ليخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف سنة 558هـ الذي فكر في التوسع خارج أراضي بلاد المغرب نحو العدوة الأندلسية حيث كسب جيوش الموحدون وشكل بهم قوة ضاربة في الدولة[3].

[1]- عبد المؤمن بن علي (487-558هـ/1095-1130م) من قبيلة كومية بضواحي تلمسان وهو خليفة المهدي في إمامة الموحدين، حكم 34 سنة، وامتد سلطانه من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى بالإضافة إلى ضم أجزاء من بلاد الأندلس، وتسمى بأمير المؤمنين؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ص239؛ ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح:سهيل زكار، عبد القادر زمان،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب،ط1، 1399هـ1979م، ص:267.

[2]- أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1426هـ-2009م، ص:183.

[3]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، الأعمال الفكرية، دار الرشاد، القاهرة، 2004م ص: 437.

ورغم كل هذه القوة التي كان يملكها الموحدون إلا أنهم لم تمنع من ظهور أعداء لهم فقد تمثلوا في بقايا المرابطين الذي كان أبرزهم بنو غانية[1] الذين تمكنوا من السيطرة على مدينة بجاية وذلك بسبب ضعف الحامية الموحدية بها فقادوا ضدهم ثورة أنهكت قوتهم وآلت بهم إلى الضعف[2].

كما قد ذكر ابن خلدون وابن الخطيب أنه كان هناك صراع بين أشياخ الموحدين والأمراء حيث تعاقب الأمراء حول الحكم حين تولي أبو العلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور سنة 629هـ/1231م والذي أمر بزوال اسم المهدي من السكة والخطبة[3] وبهذا تكون الدولة الموحدية قد دخلت في المراحل الأخير لها فظهرت ثلاث قوى عظمى في بلاد المغرب وذلك قبل سقوطها بفترة[4].

[1]- بنو غانية: تنتسب إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية التي تعتبر ثاني القبائل الكبرى التي قام عليها ملك المرابطين، بعد قبيلة لمتونة مؤسسها محمد المسوفي الذي ينتسب إلى أمه غانية وقد كانت النسبة للأمهات شائعة عند المرابطين لأن الرجال عندهم كانوا يتزوجون أكثر من أربعة حرائر فينسب الأولاد إلى أمهاتهم تمييزا لهم عن بعضهم في البيت الواحد، وكان علي المسوفي جد بني غانية من كبار رجال يوسف بن تاشفين، وهو الذي وهو الذي زوجه من قريبة له، تدعى غانية من كبار رجال يوسف بن تاشفين؛ أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، الحلة السيراء، تح:حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985م، ج2، ص:205./عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص:342./ حسين مؤنس المرجع السابق، ص:244.

[2]- علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي، دار البيارق للنشر، عمان، ص:167.

[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص:630؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص:162.

[4]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الاسلامي في العصر الوسيط، تر:محمود عبد الصمد، الإسكندرية، 1991، ص:316.

2- المرابطون والموحدون في الأندلس:

أ- المرابطون:

بعد ما تولى يوسف بن تاشفين شؤون دولة المرابطين قوى دولته ونجح في السيطرة على جزء كبير من بلاد المغرب حيث دخل إلى تلمسان ووهران ومما يدل على قوته هو ضرب السكة باسمه هنا كان قد اشتد خطر الصليبيين على الأندلس خاصة وأن هذه الأخيرة تعاني من انقسامات وانشقاقات ملوك الطوائف والإغارة على بعضهم البعض حتى بدأ سقوط هذه الإمارات ونخص بالذكر مدينة طليطلة التي سقطت في أيدي الصليبيين في سنة 478هـ-1085م[1].

وتلا ذلك حصار سرقسطة وبلنسية فأحس المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية بالخطر الذي سينتج عنه خسارة ملكه فبعث ليوسف بن تاشفين لرد المد المسيحي سنة476هـ[2]، بالإضافة إلى إلحاح أهل الأندلس على إنقاذ بلاد الأندلس " وجزى الله أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين أفضل جزاء المحسنين، بما بل من رمق ونفس من خناق ووصل أهل الجزيرة من حبل وتحشم إلى تلبية دعائمها واستنفاذ ما بها من حزن وسهل، وظهر أمر الله وهم كارهون"[3].

فكان أهل الأندلس يقطعون البحر من أجل لقاء يوسف بن تاشفين من أجل بث آلامهم وحزنهم،فكان يستقبلهم بكل حفاوة واهتمام ويعدهم بكل خير، فكان يعدهم

---

[1]- أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح، تع: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1985/1406،ج3، ص ص: 276-277.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 91.

[3]- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت:542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ق4، ج1، ص166.

بنصرتهم "وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تقدم عليه وفود الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والإسلام، مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع إليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم"[1].

وبعد أن استشار يوسف بن تاشفين قادته وإخوانه في مسألة نجدة الأندلس وافقوا على ذلك ففكر في تنفيذ المشروع الجهادي الإيماني الكبير[2]،وعبروا إلى الجزيرة الخضراء سنة 479هـ واستكملوا الجزء الكبير من الاستعدادات وهكذا تحققت أماني أهل الأندلس وانضمت قوات المعتمد فأصبح المسلمون معسكرين، معسكر أهل الأندلس ومعسكر المرابطين[3].

دخل الجيش الإسلامي موقعة الزلاقة وفي تعداده 47ألفا، حيث كان أقل من الجيش النصراني[4].

واشتبك الجيشان في سهل الزلاقة سنة479هـ في صراع عنيف وفي معركة رهيبة عامة هجمت فيها مقدمة جيش النصارى على نظيرتها من جيش المسلمين، مما جعل تفوق النصارى يصطدم بصبر المرابطين وثباتهم، فاستعاد المرابطون ثباتهم بعد أن انضم إليهم الأمير سرين بن أبي بكر إلى القوات التي كان يقودها المعتمد، وكان يوسف يدبر الضربةوكان يوسف يدبر الضربة النهائية التي يقلب فيها موازين المعركة، فمزقت قوات ألفونسو شر ممزق[5]،ليعود يوسف إلى الجزيرة ويحضر لعبور آخر الذي يعتبر بمثابة عبور ثاني سنة 481هـ الذي دخل فيه مع

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر بيروت، ق4، ج1، ص166.

[2]- ابن السماك، المصدر السابق، ص: 49.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص:94.

[4]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، 1954،ج2، ص:43.

[5]-حامد محمد خليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ، ط1، 1425هـ/2004م، ص:146.

النصارى في معركة وصراع آخر ثم عاد لبلاده وترك الجيوش في الأندلس،[1] ليعود مرة أخرى سنة 483هـ وفي نيته هذه المرة القضاء على النصارى وعزل ملوك الطوائف وطردهم.

لم تلبث دولة المرابطين مدة طويلة من الزمن وهي في قوتها، إذ بعد وفاة يوسف وانشغال خلفاءه عن أمور السلطة، بحيث مالوا إلى الترف واللهو واختلت البلاد أكثر في عهد آخر أمير وهو الحسن بن علي بن يوسف، وتمكن النصارى من الاستيلاء على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم[2]، وقد تزامن ذلك مع آخر مرحلة من حكم المرابطين ليخلفهم الموحدون الذين تمكنوا من الدخول إلى العدوة الأندلسية عدة مرات واسترجعوا بعض المدن التي سقطت في أيدي النصارى.

ب- الموحدون:

بسط الموحدون سلطانهم على بلاد المغرب وفرضوا سيطرتهم على الحكم (539هـ/1145م) مما جعل الأندلسيين والثوار يستقلون ببعض أقاليم الأندلس، فحاول الموحدون صدهم وايقافهم، وذلك من خلال إرسال عبد المؤمن بن علي جيوشا عدة مرات للأندلس لكسر شوكة النصارى واسترجاع ما كان بيد المسلمين من مدن وحصون إلا أنها كانت تنهزم دائما[3] ولم تدخل بلاد الأندلس تحت سلطة الموحدين إلا في عهد يوسف بن علي فدخل الجزء الغربي منها في طاعته[4]، بالإضافة إلى تحقيقهم نصرا كبيرا في معركة الأرك 591هـ/1192م

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص:199.

[2]- نفسه، ص:177.

[3]-ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم خاص بالموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1406،1/1985، ص:163.

[4]-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص:177.

وفي خلال الصراع بين المرابطين والموحدين سقطت عدة مدن إسلامية بأيدي النصارى منها طرطوشة(547هـ/1148م)، لاردة(548هـ/1149م)، وفي عام(635هـ/123م) سقطت قرطبة عاصمة الأندلس ثم بلنسية(637هـ/1238م)،وامتد ذلك السقوط حتى شمل شرق الأندلس[1].

ونجد أن عددا من الثوار أرادوا الاستقلال بمناطق من الأندلس فبنو غانية الذين كانوا ندا للموحدين وأنهكوا قوة الدولة مدة من الزمن ليتم القضاء عليهم من طرف أبو يعقوب مما جعلهم يفرون إلى الصحراء 582هـ/1168م، إضافة إلى ذلك نجد ثورة ابن هود الماسي الذي كان مواليا للخلافة العباسية في بغداد[2]، وكذلك ثورة زيان ابن مردنيش[3] ضد أبي يزيد البياسي626هـ وقيام دولة بني الأحمر في أرجونة ومد نفوذه والتوسع إلى المناطق الجنوبية للأندلس واتخاذه غرناطة مقاما له وحاضرة 635هـ/1238م[4].

كل هذا قلص من نفوذ الموحدين في الأندلس بحيث كثرت التحرشات الصليبية بغية طردهم دون نسيان المشاكل الداخلية وانشغالهم بالمغرب وضعف ملكهم بمراكش، وهكذا لم يمض الربع الأول من القرن السابع هجري والثالث عشر ميلادي حتى لم يعد أي وجود للموحدين داخل بلاد الأندلس.

[1]-عبد الحكيم ذنون، آفاق غرناطة، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1408هـ-1988م، ص:30.

[2]-المقري، المصدر السابق، ج1، ص:447.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، (510-546هـ/1116-1151م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1408هـ-1988م، ص ص: 93-94.

[4]-المصدر السابق، ص:446.

الفصل الأول: الفتن والحروب في بلاد الأندلس

المبحث الأول: معركة العقاب

المبحث الثاني: سقوط الدولة الموحدية

المبحث الثالث: سقوط الحواضر الإسلامية في الأندلس

المبحث الرابع: سقوط مملكة غرناطة

الفصل الأول : الفتن والحروب في بلاد الأندلس .

المبحث الأول: معركة العقاب .

المبحث الثاني: سقوط الدولة الموحدية .

المبحث الثالث: سقوط الحواضر الإسلامية في الأندلس.

المبحث الرابع: سقوط مملكة غرناطة .

الفصل الأول: الفتن والحروب في بلاد الأندلس.

المبحث الأول: معركة العقاب:

هي المعركة التي شهدت انكسار جيوش الدولة الموحدية "فكانت أول وهن دخل على الموحدين فلم تقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة" على حد تعبير صاحب الروض المعطار[1]

هذه المعركة التي يسميها النصارى نافاس دي تولوزا[2]، ويسميها المسلمون بمعركة العقاب[3]، أو حصن العقاب[4].

هذه المعركة التي كان فيها جيش المسلمين،كثيرا في العدد والعتاد، لكن كانت تنقصهم العزيمة والحماسة الجهادية، فكان الجيش مكونا من خمسة جيوش كلها في صف واحد، من قبائل البربر ومن الجنود المغاربة وجنود الموحدين النظامية والمتطوعين وجند أهل الأندلس .

وقعت هذه المعركة المشئومة التي قسمت ظهر المسلمين في الأندلس بتاريخ الاثنين الخامس عشر من شهر صفر سنة 609هـ الموافق للسادس عشر من يوليو عام 1212م،

---

[1]-محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط2، 1984،ص:416.

[2]- يوسف آشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة: محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي،القاهرة ، ط2(1417هـ -1996)، ج2، ص: 105.

[3]-العقاب: بكسر العين بالأندلس بين جيان وقلعة رياح، هو جبل مطل على خارج غرناطة مجاور لمدينة البيرة، أنظر : الروض المعطار ،ص:416

[4]-عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال ق(7هـ-13م)، ودورهم الثقافي، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (1433-1434هـ/2012-2013م)، ص:18.

وهذا التاريخ الذي اتفقت عليه جميع الروايات الإسلامية والنصرانية[1]، إلا أن ابن خلدون يرى أنها وقعت في أواخر صفر من سنة 609هـ[2]، ويذكر ابن عذارى أنها وقعت في الثامن من صفر609هـ[3].

كانت هذه المعركة محاولة ثأر من النصارى بعد هزيمتهم في موقعة الأرك 591هـ، وكانت بداية هذه المعركة بمحاولة نصرانية من اجل زحزحة الجيش الموحدي في الجانب الغربي من الميدان لكن النصارى فشلوا في ذلك، فحاولوا الدخول من الناحية الشرقية التي يعسكر فيها الأندلسيون والعرب ففر الأندلسيون وتبعهم العرب وتركوا الجيش الموحدي وحده في الميدان، وهكذا استطاعت القوات النصرانية اختراق صفوف الجيش الموحدي، فاضطرب نظامه حتى وصلت بعض الفرق إلى فسطاط الناصر، وبدأت مذبحة كبرى انتهت بتبدد الجيش الموحدي الضخم[4]، وقتل من الموحدين خلق كثير من خيرة رجال الموحدين فيهم عدد من العلماء والمحدثين[5]، ولقد أسفرت هذه المعركة الطاحنة عن هزيمة قاسمة وخسائر مهولة في صفوف الموحدين، إذ قتل منهم خلق كثير[6] لا يحصى، تجاوز عشرات

---

[1]-انظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة-الرباط، 1972م، ص:240.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ج6، ص: 336.

[3]- أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح، تع: محمود بشار عواد، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، (1434هـ-2013م)، ج3، ص: 377.

[4]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، الأعمال الفكرية، دار الرشاد، القاهرة، دط، 2004، ص: 233.

[5]- عبد الهادي التازي، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، دار نشر المعرفة، الرباط، ط1، (1422هـ-2001م)، ج2، ص: 42.

[6]- أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب، شر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، (1426هـ-2006م)، ص: 235.

الألوف وفنيت جيوش المغرب والأندلس، حتى أن الإنسان بعدها يجول في المغرب فلا يجد شابا قادرا على القتال، وكانت هذه الواقعة سببا في هلاك الأندلس إلى الآن على حد تعبير صاحب البيان المغرب[1].

هذا ما جعل الشاعر ابن الدباغ الاشبيلي[2]، يصف هذه الواقعة وتوابعها الخطيرة على بلاد الأندلس حيث قال:[الوافر]

وقَـائِـلةٍ أرَاكَ تُطِيلُ فِكـرًا كَأَنَّكَ قَد وَقَفتَ عَلى الحِسَابِ

فُقُلتُ لَهَا: أُفَكِّر فِي عِقَابٍ غَـدَاَ سَبَبًا لِـمَعرَكَـة العِقَـابِ

فَمَا فِي أَرضِ أندَلُسٍ مَقَامٌ وَقَـد دَخَلَ البَلاَ مِن كـلِّ بَابٍ [3]

فلقد كانت هذه المعركة الخاسرة للمسلمين السبب في هلاك الأندلس وبداية أفول شمس الإسلام في الأندلس، ولقد كان لمعركة العقاب أثار بليغة على بلاد المغرب والأندلس وعلى الدولة الموحدية ، فأما بالنسبة للدولة الموحدية فلقد كانت هذه الهزيمة بداية لفصل جديد أو بداية مرحلة الضعف والاندثار، فكانت هذه المعركة نذيرا بنهاية هذه الدولة التي استطاعت أن تجمع بلاد المغرب والأندلس تحت راية واحدة، ساهم في ذلك بشكل أكبر الصراعات الداخلية حول أحقية كرسي الخلافة، بالإضافة إلى الثورات ذات النزعة الاستقلالية سواء في المغرب أو الأندلس وهذا الأمر استغلته الممالك النصرانية المتربصة

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص:377.

[2]- هو محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسي المعروف بابن الدباغ، كان حافظا لمذهب مالك وعارفا بالنحو والأدب والكتابة والشعر، ت: 688هـ/ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مر، تق، تع: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج3، ص: 621.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: احسان عباس، دار صادر ، بيروت، (1388هـ-1968م)، ج4، ص: 464.

بالإسلام والمسلمين وخاصة بعد وفاة الخليفة الناصر (595-610هـ/1199-1213م)[1].

إن موقعة العقاب كان لها أثر كبير على بلاد المغرب الإسلامي حيث فقد المغرب في هذه المعركة خيرة شبابه ومقاتليه الذين كانوا عونا للدولة الموحدية، أما في الأندلس فكانت هزيمة العقاب إيذانا بالنهاية، فقد شجعت ملوك النصارى الذين مضوا يستولون على الحصون الإسلامية دون مقاومة تذكر، وزاد الأمر تعفنا عندما قام أبو العلاء إدريس عامل اشبيلية سنة 624هـ/1227م بمناداة نفسه خليفة للموحدين منافسا لأبي زكريا يحي بن الناصر[2].

لقد نتج عن هذه المعركة بدأ عصر ملوك الطوائف الثاني بعد الموحدين التي آل أمرها في الأخير إلي السقوط علي يد النصارى[3].

استطاعت قوات النصارى في الأيام الأولى لنصرها الكبير علي المسلمين من الاستيلاء على عدة مدن مثل بسطة وباغو وكذلك مدينة بياسة وأبذة[4].

قال صاحب نفح الطيب: "كانت العقاب سبب ضعف المغرب والأندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره، وأما الأندلس فبطلب العدو لها"[5].

---

[1]- عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص ص: 21-22.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص : 234.

[3]- علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي، دار البيارق للنشر، عمان، ص:218.

[4]- عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص: 22.

[5]- المقري التلمساني، المصدر السابق، ص :446.

أما إذا تحدثنا عن أسباب الهزيمة في هذه المعركة فلعل أهم سبب مثلما يذكر عبد الواحد المراكشي "وأكبر أسباب الهزيمة اختلاف قلوب الموحدين...وخرجوا وهم كارهون فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلوا سيفا...ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال"[1].

كذلك من الأسباب التي أدت إلى الفشل في هذه المعركة، الثورات التي حدثت في المغرب مع بني غانية والتي طال أمدها جعلت الموحدين ينفقون فيها ما يملكون من أموال ومدخرات ويخسرون فيها خيرة رجالهم[2].

لقد أعجب المسلمون المشاركون في هذه المعركة بكثرة عددهم وعتادهم، لكن لم تكن عندهم الحماسة القتالية والحس الجهادي الذي هو أساس النصر والتمكين .

فلا غرابة أن نجد المؤرخين يصفون معركة العقاب بأوصاف متعددة فابن السماك وصفها "بالهزيمة العظمى"[3].

أما الحميري فلقد وصفها بقوله : "أول وهن دخل على الموحدين فلم يقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة"[4].

---

[1]- المراكشي، المصدر السابق، ص:235.

[2]- الصلابي، المرجع السابق، ص: 216.

[3]- ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمان، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1(1399هـ-1979م)، ص:161.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص: 416.

المبحث الثاني:سقوط الدولة الموحدية:

لقد كانت دولة الموحدين دولة قوية مترامية الأطراف استطاعت أن تحافظ على استمرارية ووحدة بلاد المغرب والأندلس مدة معتبرة من الزمن، فكان الموحدون في الفترة التي حكموها حماة دار الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، إلا أنه وفي مطلع القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي بدأت علامات الضعف والاضمحلال تظهر على هذه الدولة الفتية.

فمعركة العقاب التي تحدثنا عنها ما هي في الواقع إلا نذير بانحلال الدولة الموحدية وبداية نهايتها مثلما أشار إلى ذلك آشباخ بقوله "لم تكن موقعة العقاب سببا في تحطيم قوى الخليفة محمد الناصر بالأندلس فقط ولكنها أفضت فوق ذلك إلى تحطيم سلطان الموحدين في المغرب"[1].

إن انهيار دولة الموحدين كان له أثر بليغ على بلاد المغرب والأندلس خاصة، وإذا أردنا أن نتحدث عن سقوط الدولة الموحدية فإننا نجد عدة عوامل ساهمت في زوال هذه الدولة واندثارها، ولعل أهم عامل ساهم بشكل كبير في نهاية هذه الدولة هو الصراع الأسري على الحكم ونجد أن هذا العامل يبرز دائما مع نهاية كل دولة.

الصراع الأسري على الحكم:إن الصراع على السلطة بين أبناء عبد المؤمن هو من أهم الأسباب التي أضعفت دولة الموحدين، فَتَبَنِي عبد المؤمن الحكم الوراثي في عقبه أدخل الدولة في دوامة من الصراعات على السلطة، انتقل في الكثير من المرات إلى صراع عسكري

[1]- يوسف آشباخ، المرجع السابق، ص: 151.

وثورات[1] كانت بداياتها في عهد عبد المؤمن بن علي حيث ثار أخو المهدي عبد العزيز وعيسى على عبد المؤمن سنة548هـ[2]، وكذلك مع المنصور الذي أراد أخوه أبو حفص الاستقلال بمرسيه، ولقد تطور هذا الصراع خاصة بعد وفاة المستنصر لينحوا منحنا دمويا حتى أصبح من المعتاد أن يتولى الخلافة أكثر من واحد[3]، فأبناء المنصور وأحفاده يرون أنهم هم الأحق بالخلافة من سائر أبناء عبد المؤمن، أما أبناء المنصور فيريدون أن يستأثروا بالحكم لوحدهم دون سواهم ،ففي بيعة عبد الواحد خلفا للمستنصر خرج عليه العادل وادعى أنه الأحق بالخلافة[4]، وخرج كذلك السيد عبد العزيز بن الخليفة السعيد على الواثقي أبي دبوس آخر خلفاء الموحدين[5]، وهذا كان سببا في ضعف الدولة وتفرقها.

من العوامل التي كانت أيضا سببا في نهاية الدولة هو ضعف الخلفاء، وخاصة الخلفاء الذين جاءوا بعد الناصر الموحدي(610هـ/1213م) مثل الخليفة المستنصر بالله أبي يعقوب والذي شهد عهده الكثير من الثورات والفتن والصراعات[6]،وحتى أن بعض الخلفاء المتأخرين كانوا صغار السن لم يبلغ بعضهم حتى سن الحكم والبعض الآخر كان منغمسا

---

[1]- صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، (1434-1435هـ/2013-2014م)، ص: 100.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص ص: 137-138.

[3]- عز الدين أحمد عمر موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م، ص ص: 81-82.

[4]-ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 244.

[5]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص: 590.

[6]-محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من ق7 الي 9 هـ/13-15 م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران (1436-1437هـ/2015-2016م)، ص ص: 38-39.

في الملذات والملاهي مثلما كان عليه الناصر، وكذلك المرتضي الذي كان ميالا للمسالمة وسماع الغناء[1]

قال ابن خلدون وهو يصف حال الدولة الموحدية وضعفها "ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة مرجعه من غزاة العقاب وقام بأمر الموحدين من بعده ابنه يوسف المستنصر نصبه الموحدون للأمر غلاما لم يبلغ الحلم، وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك فأضاع الحزم وأغفل الأمور وتواكل الموحدون بما أرخي لهم من طيل الدالة عليه ونفس عن منخنقهم من قبضة الاستبداد والقهر، فضاعت الثغور وضعفت الحامية وتهاونوا بأمرهم وفشلت ريحهم"[2]، ولعل أكثر العوامل التي أثرت في الدولة الموحدية وعجلت بنهايتها هو كثرة الثورات والتمردات، فلم يخل قطر ولا عصر في هذه الدولة من هذه الفتن وربما يرجع السبب في ذلك إلى السياسة التي انتهجها بنو عبد المؤمن[3]، و من أعنف هذه الثورات ثورة بني غانية[4]، الذين حاربوا الموحدين في كل أنحاء بلاد المغرب بكل ما أتوا من قوة، واستمرت ثوراتهم لمدة خمسة عقود متتالية، حيث ألحقت هذه الثورة خرابا و دمارا وأثرت على اقتصاد الدولة وعلى جيشها القوي[5]، أما في بلاد الأندلس فكانت أعنف هذه الثورات الثورة التي قادها محمد بن

---

[1]-علي الصلابي، المرجع السابق، ص: 229.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص: 224.

[3]-صديقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص: 107.

[4]-بنو غانية: نسبة إلى أمهم غانية ،لأن المرابطين كانوا ينسبون أبنائهم إلى أمهاتهم بسبب تزوجهم بعدة نساء، أو لأن المرأة كانت لها مكانة وشرف في المجتمع الطوارقي، ويرجع بعض المؤرخين أن أصل أمهم يعود إلى مملكة غانا، ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة البربرية، وكان لهم دور كبير في دولة المرابطين وربطت بينهم علاقة مصاهرة فقد تزوج علي بن يحي المسوفي غانية إحدى قريبات يوسف بن تاشفين، ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السيراء، تح، تع: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ج2، ص:205.

[5]- الصلابي، نفس المرجع، ص: 223.

مردنيش[1]، والتي دامت قرابة ربع قرن هذا الأخير الذي تحالف مع النصارى ضد الموحدين[2]، بالإضافة إلى ثورات الأعراب المتتالية من بني سليم وبني هلال التي أحدثت فتنة في بلاد المغرب حيث كانت في بعض الأحيان تتحالف مع الثائرين على الموحدين وأصبحت كذلك تتدخل في شؤون الحكم[3].

لقد كانت هذه الثورات والفتن سببا في ضعف الدولة الموحدية لتأثيرها الشديد على أهم ركائز الدولة وهما الاقتصاد والجيش.

هذا بالنسبة للعوامل التي كانت سببا في سقوط هذه الدولة أما عن مظاهر هذا السقوط فكانت البداية في الأندلس حيث تقلص ظل الدولة الموحدية في الأندلس بعد موقعة العقاب حيث بدأت المحاولات الاستقلالية بالأندلس، هذا الوضع الذي استفاد منه النصارى[4]، فزحف القشتاليون على حوض الوادي الكبير وقرطبة ،وزحف كذلك الأرجوانيون إلى الجزائر الشرقية (البليار) وإقليم بلنسية[5]، وهكذا بدأت الحواضر الأندلسية في السقوط الواحدة تلوى الأخرى ،وكان لاستقلال غرناطة عن طريق بني الأحمر نذير بانفصال الأندلس عن الموحدين نهائيا.[6]

---

[1]- ابن مردنيش: هو ابن محمد بن احمد بن مردنيش الجذامي قام بثورة ضد الموحدين فاستولى على بلاد الشرق مرسيه وبلنسية شاطبة، كما استولى على جميع بلاد الأندلس، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص: 415-423.

[2]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول: عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ-1990م، ص: 356.

[3]- الصلابي، المرجع السابق، ص: 224.

[4]- منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق رقم 2، رسائل موحدية، تح، در: أحمد الغزاوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ج2، ص: 205.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص: 385-386.

[6]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص ص:555-558.

إن انفصال الأندلس عن المغرب كان له تأثير كبير على الدولة الموحدية في المغرب،لأن الأندلس كانت هي الواجهة الأمامية التي تحمي المغرب من القوى النصرانية، ولذلك شهدت بلاد المغرب بعد ذلك ضربات المسيحيين ،حيث تعرضت سبته لهجوم نصراني وكذلك سلا من طرف القشتاليين سنة 658هـ[1]

أما في الشمال الإفريقي فكانت نهاية الموحدين بظهور قوى سياسية جديدة منافسة للموحدين فكان النصف الأول من القرن السابع الهجري يمثل عهد تشكل ثلاث ممالك مغربية في مركز الخلافة الموحدية ،فعلى أنقاض الدولة الموحدية برزت إمارة تلمسان الزيانية،وظهرت أيضا بإفريقية إمارة الحفصيين ،وفي المغرب الأقصى قامت دولة جديدة هي دولة بني مرين التي خلفت الموحدين في عاصمتهم[2].

فأما إمارة تلمسان فكان قيامها سنة 633هـ على يد بني عبد الواد حيث كان أبو يحي يغمراسن بن زيان مؤسسها، وكانت عاصمتها تلمسان[3]،وأما الإمارة الحفصية والتي تنتسب إلى الشيخ أبي حفص عمر الهنتاني[4]الذي اسند الخليفة الناصر وكان الخليفة الناصر الناصر إلى ابنه عبد الواحد ولاية افريقية فاستقل بها لبعدها عن مركز الخلافة وكان هذا الاستقلال سنة 633هـ[5].

---

[1]-المصدر السابق، ج3، ص ص: 556-557.

[2]- رسائل موحدية، المصدر السابق، ص:207 .

[3]-أبو زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، المجلد الأول، (1321هـ/1903)، ص ص:110-114.

[4]-أبو حفص عمر الهنتاني، من أكابر أصحاب المهدي بن تومرت وصار بعده في دولة عبد المؤمن، من قبيلة هنتانة من كبرى قبائل البربر بالمغرب، ينظر: عز الدين بن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، ج3، ص: 393.

[5]-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، تق : الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1404هـ/1984م، ص: 49-50

لقد كان سقوط دولة الموحدين سنة 668هـ/1269م، وبقيت بلاد الأندلس تنازع لحظات الاحتضار الأخيرة لها، فعمت الفوضى ونشبت الصراعات على السلطة والملك بين أمراء الأندلس الذين دخلوا في صراع عنيف هذا الوضع الذي استغله النصارى[1].

المبحث الثالث: سقوط الحواضر الإسلامية في الأندلس:

مع بداية القرن السابع الهجري كانت بلاد الأندلس في مهب الريح بسبب ضعف قوة الموحدين وتقلص نفوذهم في بلاد الأندلس،خصوصا بعد الهزيمة الكبيرة التي منيت بها الدولة الموحدية في معركة العِقاب سنة 609هـ/1212م، التي كانت على المسلمين الهزيمة العظمي على حسب تعبير ابن السماك[2]، فقد خسر الأندلسيون الدولة التي كانت حامية لهم ومدافعة عنهم من الخطر النصراني المتزايد الذي كان هدفه السيطرة والاستيلاء علي كامل بلاد الأندلس[3]، تحت شعار "الاسترداد"[4].

فكانت النتيجة تقلص رقعة الدولة الإسلامية في الأندلس حيث لم يبق للمسلمين إلا مملكة غرناطة.

ففي الوقت الذي انشغل فيه زعماء الأندلس بالتناحر على السلطة والحكم، كان النصارى ينفذون مخططاتهم وفق خطة محكمة هدفها الاستيلاء علي أراضي الأندلس الذي قسموه إلي ثلاثة مناطق كل ملك منهم كانت له منطقة محددة يريد التوسع علي حسابها .

---

[1]-الصلابي، المرجع السابق، ص ص: 235-237.

[2]- ابن السماك، المصدر السابق، ص: 161.

[3]- محمد سعيداني، المرجع السابق، ص: 65.

[4]- رسائل موحدية، المصدر السابق، ص: 182.

المنطقة الأولى: في غرب الأندلس ويسيطر على مصيرها ملك ليون ألفونسو التاسع مع مملكة البرتغال الناشئة التي كانت تسعي جاهدة إلي التوسع في هذه المنطقة على حساب الوجود الإسلامي.

المنطقة الثانية: وسط الأندلس يسيطر على مصيرها ملك قشتالة فرناندو الثالث ابن ملك ليون وما لبثت المملكتان أن اتحدتا عقب وفاة ألفونسو سنة 1230م، حيث أصبحت مملكة قشتالة أقوى الممالك النصرانية الاسبانية والتي استطاعت أن تحرز التفوق على المسلمين[1]

المنطقة الثالثة: في شرق الأندلس اختص بها الملك أراغون[2]

هكذا بدأ السقوط المتوالي للحواضر الإسلامية في الأندلس دون ادني مقاومة ولقد كانت قشتالة وأراغون تتعاونان في مهاجمة الأندلس والقضاء فيها على الدولة الإسلامية، في حين كانت البرتغال تعمل على ضم الأراضي الأندلسية الواقعة جنوبها في ولاية الغرب[3].

لقد كانت البدايات الأولى لسقوط الحواضر الأندلسية من الجهة الشرقية التي كانت أضعف نواحي الثغر الأندلسي وذلك منذ سقوط سرقسطة 512هـ/1118م، هذه الجهة التي أعلنت الاستقلال عن الدولة الموحدية من طرف ابن هود[4] في مرسيه والذي استطاع أن يضمن بعض الاستقرار في المنطقة لكن المواجهة التي كانت بينه وبين المأمون الموحدي

---

[1]- رسائل موحدية، المصدر السابق، ص: 183.

[2]- عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص39.

[3]- علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص: 61.

[4]- ابن هود: هو محمد بن يوسف بن هود الأندلسي السلطان أبو عبد الله ،نجم ابن هود في سنة خمس وعشرين وستمائة شرق الأندلس وحارب الموحدين وحارب النصارى في موقعة ماردة التي هزم فيها، ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح : بشار عواد معروف، محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ط11، 1417هـ/1996م، ج23، ص ص: 20-21.

عجلت بسقوط هذه الجهة على يد مملكة أراجون ،خاصة في عهد الملك خايمه الأول الذي استطاع أن يسيطر على الكثير من هذه الحواضر في هذه الجهة[1]والتي من بينها:

1 ـ جزر البليار(الجزائر الشرقية): هذه الجزر تقع في شرق بلاد الأندلس تضم كل من ميورقة[2]، منورقة[3]، ويابسة[4].

وبالنسبة لميورقة كان واليها هو أبو يحي بن أبي عمران التينملي[5]، وخرجت هذه الحملة النصرانية في 14 شوال 626هـ[6]الموافق للخامس من سبتمبر 1229م ،بقوات ضخمة وكبيرة ضمت حوالي ألف وخمس مائة فارس وعشرين ألف راجل وستة عشر ألفا من رجال البحرية وعسكر الماء[7]، وكانت المواجهة بين المعسكرين ،حيث دافع أبو يحي وجيشه دفاع المستميت ،لكن لما أحس بعدم قدرته على مواجهة الجيش النصراني القوي لجأ إلى المفاوضة حول شروط التسليم، حيث بعث أبو يحي إلى الملك خايمه على يد دون نونيو سانشيز أحد أقطاب الحملة يعرض عليه أن يدفع ثمنا لانسحاب ملك أراغون،فعرض

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، كورنيش النيل-القاهرة، ط1، ط2، 1963م، 1980م، ج2، ص ص: 303-304.

[2]- ميورقة: هي مدينة في شرق الأندلس وهي جزيرة في البحر تقع في شرقها جزيرة سردانية وغربها جزيرة يابسة فتحها المسلمون سنة 290هـ، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 568.

[3]- منورقة أو منرقة بضم الميم والنون: هي جزيرة تقابل برشلونة هي إحدى بنتي ميورقة، انظر: الروض المعطار، ص: 549.

[4]- يابسة: مدينة تقع في شرق الأندلس وهي جزيرة خصيبة بضد اسمها، ينظر: ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح، تع : شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1964، ج2، ص: 470.

[5]- أبو يحي التينملي: هو أبو يحي بن أبي الحسن بن أبي عمران ،ولاه الناصر الموحدي على جزيرة ميورقة سنة607هـ، انظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم خاص بالموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1406هـ/1985م، ص:256.

[6]- الحميري، المصدر السابق، ص :568 /غير أن ابن خلدون يرى أنها وقعت في سنة 627هـ، العبر، ج6، ص:332 / المقري، نفح الطيب، ج4، ص:469.

[7]-عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص:42

عليه أن يؤدي إليه سائر نفقات الحملة من وقت خروجها من ثغر طركونة إلى يوم انسحابها، بشرط أن لا يترك في الجزيرة أي حمية نصرانية[1].

فلما علم يحي التينملي أن ملك أراغون يصر كل الإصرار على الاستيلاء علي الجزر الشرقية ،بعث إليه ثانية يعرض عليه تسليم المدينة على أن يسمح له بالخروج إلى بلاد المغرب مع أهله وجيشه وأمواله وأن يترك له السفن التي تحمله إلى الساحل المغربي، لكن الملك خايمه لم يستجلب لطلبه وذلك رغبة منه في الاستيلاء علي المدينة بكل غنائمها وثرواتها[2]

فكانت عندئذ الكلمة للصدام العسكري بين الطرفين فكانت معركة عنيفة، ومذبحة مروعة قُدّر عدد الشهداء فيها بأربعة وعشرين ألفا[3]، فدخل الملك خايمى المدينة وأتى بالوالي أبي يحي وأمر بتعذيبه أمام جنوده ثم قام بعد ذلك بتحرير صك التسليم باللغات اللاتينية والقطلانية والعربية ،وكان ذلك في يوم الثلاثاء 15صفر627هـ الموافق للفاتح من يناير 1230م[4]، لكن أبا حفص بن سيري لما رأى هزيمة المسلمين وسقوط المدينة ،خرج إلى الجبل رفقة طوائف كبيرة من الفارين واجتمع له منهم عدة آلاف مقاتل ،فأصر على المقاومة حتى النهاية ،لكن لم تمض إلا أيام قليلة حتى خرج إليه خايمه مع مجموعة من الفرسان لمطاردة هذه القوة، فدخلت معهم في معارك متوالية حتى قضت في النهاية على

[1]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص:54.

[2]- المرجع نفسه، ص:54.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص: 471.

[4]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص:54.

حشودهم وقتل قائدهم ابن سيري وذلك في يوم العاشر من ربيع الآخر سنة 628هـ الموافق الثالث عشر من فبراير1231م[1].

لقد فقد المسلمون جزيرة ميورقة الغنية الزاهرة كبرى الجزائر الشرقية بعد أن حكموها مدة طويلة من الزمن أكثر من خمسة قرون، وعاد الملك خايمه إلى أراجون ،ولقب من ذلك التاريخ بالفاتح ،بعد أن قام بتقسيم أراضي الجزيرة وأحياء ميورقة ودورها بين من شارك معه في تلك الغزوة وكتب هذا التقسيم في كتاب اشتهر بكتاب التقسيم، بعد سقوط جزيرة ميورقة في يد النصارى بقيت باقي الجزر والمدن المجاورة لها تحت رحمة الغزاة النصارى الذين أخذوا يستولون عليها الواحدة تلو الأخرى تحت شعار الاسترداد[2].

أما جزيرة يابسة (IBIZA) وهي اصغر الجزائر الثلاثة والتي تقع جنوبي ميورقة، فقد نزل بها الأرجوانيون في سنة 632هـ/1235م، فوقعت بينهم وبين مسلمي المدينة مصادمات استمرت نحو خمسة أشهر، وانتهى الأمر بتسليم المسلمين واستيلاء الأرجوانيين على الجزيرة[3]، التي أقطعها الملك لكنيسته[4]، واستولى النصارى في نفس الوقت على جزيرة فونتميرا الصغيرة ، التي تقع على مقربة من جنوبي يابسة وكانت خالية ليس بها أحد من المسلمين[5]، أما جزيرة منورقة التي تقع في شرقي ميورقة وهي ثاني الجزائر من حيث الحجم، فلقد استطاع الأندلسيون المسلمون أن يحافظوا عليها تحت الحكم الإسلامي لمدة دامت

---

[1]- عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ/1990م، ج3، ص: 407.

[2]- عبد الله عنان،المرجع السابق، ج3، ص: 408.

3- المرجع نفسه، ج3، ص: 408.

[4]- يوسف آشباخ، المرجع السابق، ق2، ص:174.

[5]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص:408.

أكثر من نصف قرن وذلك لشخصية واليها الرئيس أبو عثمان سعيد بن الحكم[1] الأموي الذي كان رجلا طموحا،تولى هذه الجزيرة من قبل أبي يحي التنملي سنة624هـ[2].

بعد استيلاء النصارى على ميورقة ،رأي أبو عثمان أن يبادر إلى التفاهم مع النصارى،فعقد تفاهما يتعهد بموجبه الملك خايمه الأول بعدم التعرض للمسلمين في جزيرة منورقة وفي المقابل يتعهد المسلمون بأن يدفعوا الجزية السنوية ويعلنوا الخضوع والطاعة لمملكة قطلونية وأراغون[3]، لقد كان لهذا التفاهم المبرم تأثير كبير في القضاء على ثورات أهل ميروقة حيث أن النصارى تفرغوا لذلك[4]

لقد كان لوفاة سعيد بن الحكم في رمضان سنة680هـ/1281م، والذي خلفه ابنه أبو عمر حكم بن سعيد الذي لم يطل أمد حكمه ،وذلك لأن النصارى رأوا أن ينتزعوا منورقة من أيدي المسلمين فاستولوا عليها سنة686هـ/1287م، وأجلي عنها المسلمون وبذلك سلطان المسلمين بالجزائر الشرقية[5]، وغادر أبو عمر الجزيرة ومعه أهله ورفات أبيه وسار إلى سبتة ثم قصد تونس فغرق في البحر هو وأهله[6]

---

[1]- سعيد بن الحكم: هو سعيد بن الحكم بن عمر بن الحكم القرشي، أبو عثمان أصله من طبيرة بغرب الأندلس ولد بها ،استعمل على منورقة، ثم استقل بها بعد ذلك كان عالما محدثا ونحويا وأدبيا وشاعرا وكان محبا للعلم كان يلقب بالرئيس، ينظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص ص: 318-319 /أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، تع :عادل نويهض، دار الآفاق الجديد، بيروت،ط2، 1979م، ص ص: 303-304.

[2]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص:409.

[3]-ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص: 319.

[4]-عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص: 46.

[5]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ق2، ص: 409.

[6]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي، لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص: 246.

2 ـ سقوط بلنسية[1]:

ما كاد ملك أراغون ينتهي من السيطرة على الجزر الشرقية حتى أخذ يضع خطته لضم بلنسية المقابلة لجزيرة ميورقة، حيث سعى لدى البابا من اجل أن يضفي الصفة الشرعية الصليبية لهذه الحركة وذلك حتى يضمن نجاحها فاستجاب له البابا كريكوار التاسع[2].

لقد كان أبو عبد الله محمد المنصور الحاكم السابق على بلنسية والجزائر الشرقية بعد قرار عزله لجأ إلى الملك أراغون وانطوى تحت حمايته وعقد معه معاهدة يتعهد فيها بأن يسلمه جزءا من البلاد والحصون التي سيستردها بمعاونته، وانتهى به الأمر إلى أن ارتد واعتنق النصرانية وأصبح محاربا مع النصارى وكان ذلك في سنة 626هـ/1230م[3]، وبدأ حصار المدينة في رمضان 635هـ/ أفريل 1238م، وتم رميها بالآلات المخربة لكن البلنسيين دافعوا عن المدينة بقيادة أميرهم[4]أبي جميل الذي قام بالاستنجاد بالقواعد الإسلامية المجاورة فأرسل سفارة عاجلة إلى مرسيه برئاسة الفقيه محمد بن خلف بن قاسم الأنصاري، وأرسل كذلك إلى الحفصيين بتونس وزيره ابن الأبار إلى أبي زكرياء الحفصي الهنتاني حيث ألقى أمامهم قصيدة يرثي بها حال الأندلس والتي من أبياتها:[البسيط]

أَدرِك بِخَيلِكَ خَيلَ اللهِ أَندَلُسًا إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنجَاتِهَا دُرِسَا[5]

---

[1]– بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس تقع في شرقي تدمير وشرقي قرطبة وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار تعرف بمدينة التراب، ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج1، ص: 491.

[2]– عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص: 56.

[3]– عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، قس:2، ص: 438.

[4]– عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص: 56.

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 385-386.

حيث استجاب أبو زكرياء الحفصي لمطلبه حيث بادر بتجهيز أسطول يتألف من اثني عشر سفينة كبيرة وست صغيرة، لكن الأسطول لم يستطع إفراغ شحنته في ثغر بلنسية لأنه وجد الوقت قد فات[1]، حيث أن النصارى كانوا قد استولوا على بلدة بريانة[2]بعد حصارها وكذلك قلعة بنشكلة ثم تلتها بقية الحصون والقلاع[3].

ثم بعد ذلك توقف الملك أراغون وعاد إلى بلده وبعد مرور سنتين عاد لاستكمال ما بدأ به، فهاجم أنيشة[4] الواقعة على مقربة من شمالي بلنسية حيث وقعت بينه وبين المسلمين معركة انهزم فيها المسلمون وسقط فيها عدد كبير من علماء بلنسية ووجهائها وصلحائها، وكان ذلك في يوم الخميس عشرين من ذي الحجة634هـ الموافق للرابع عشر من أوت1237م[5].

مع اشتداد الحصار على بلنسية وتعاظم البلاء على أهلها راسل أميرهم سرا الملك الأرجواني بغرض المفاوضة والتسليم، حيث بدأت المفاوضات في السابع عشر من صفر 636هـ.

ففي صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرون من صفر 636هـ الموافق للتاسع من أكتوبر 1238م دخل خايمه ومن معه مدينة بلنسية وحولت مساجدها في الحين إلى

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص: 460.

[2]- بريانة: بالضم ثم الكسر وياء مشدودة، مدينة بالأندلس في شرقي قرطبة من أعمال بلنسية، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص: 406.

[3]- يوسف آشباخ، قسم الموحدين، ص: 175.

[4]- أنيشة : بالشين المعجمة والجيم معا(أنيجة)، موضع على مقربة من بلنسية بالقرب من بنشكلة من أرض الأندلس وعقبة أنيشة هي جبل عال على البحر وقعت فيه الحرب بين النصارى والمسلمين التي انهزم فيها المسلمون، ينظر: الحميري، المصدر السابق ، ص41.

[5]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ق: 2، ص: 442.

كنائس وطمست قبور المسلمين التي نزح منها المسلمون حيث قدر عدد النازحين بخمسين ألف نازح[1].

هكذا سقطت بلنسية بعد أن حكمها المسلمون منذ الفتح خمسة قرون وربع قرن والتي كانت حاضرة شرق الأندلس، وتابع خايمى زحفه على الأراضي المجاورة لبلنسية فاستولى على جزيرة شقر[2]، ودانية[3]،سنة641هـ/1244م ثم شاطبة[4] أواخر صفر 644هـ/1246م، وكذلك مدينة لقنت[5] في سنة 644هـ.

ثم اتجه بعد ذلك إلى مرسيه[6]، التي فر إليها أبا جميل زيان واستولى عليها لكن بهاء الدولة محمد بن هود انتزعها منه، هذا الأخير قام بمعاهدة مع النصارى حيث سلموا له المدينة صلحا مع اعترافهم بالطاعة وأداء الجزية وذلك في اليوم العاشر من شوال سنة

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص: 460./ابن خلدون، العبر، ج6، ص388./عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ق: 2، ص451.

[2]- شقر: بفتح أوله وسكون الثانية جزيرة شقر في شرقي الأندلس يكثر فيها الشجر والماء، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج3، ص 355.

[3]- دانية: مدينة متوسطة على ضفة البحر ،هي برية بحرية حصينة كثيرة الخيرات، لها مرسى عظيم تقابلها في البحر جزيرة يابسة وجزيرة منورقة، ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ص: 135.

[4]- شاطبة: بالأندلس مدينة جليلة متقنة حصينة لها قصبتان ممتنعتان طيبة الهواء وهي قريبة من جزر شقر يحيط بها وادي، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 337.

[5]- لقنت: بفتح أوله وثانيه وسكون النون وتاء مثناة ،حصنان من أعمال لاردة بالأندلس، لقنت الكبرى، لقنت الصغرى، كل واحدة تنظر إلى صاحبتها، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص: 21.

[6]- مرسيه: مدينة عظيمة كثيرة الخصب والفواكه بالأندلس وهي قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمان بن الحكم، وهي تقع على نهر كبير يسقي جميعها، انظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ص ص: 99-100/ الحميري، المصدر السابق، ص ص: 539-540.

640هـ الموافق ل2 أفريل1243م، وبسقوط مرسيه كان الشرق الأندلسي تابعا للنصارى[1].

3ـ سقوط حواضر وسط الأندلس وغربه:

بعد سقوط الجهة الشرقية للأندلس التي هاجر أغلب ساكنيها من المسلمين إلى باقي المدن الأندلسية الإسلامية وإلى جهات أخرى مثل المغرب الإسلامي لكن شعار "الاسترداد"الذي أعلنته الممالك النصرانية تحت مباركة الكنيسة لم يتوقف في الجهة الشرقية فقط بل انتقل لكي يعم كامل أراضي الأندلس، فهذه الحملة جاءت كالسيل العرم لا تترك شيئا تجده أمامها، فلما تم الاستيلاء على الجهة الشرقية جاء الدور للسيطرة على وسط وغرب الأندلس، ومن بين الحواضر التي أخذها النصارى في هذه المنطقة.

1ـ حاضرة قرطبة[2]:

لقد كانت قرطبة من الحواضر التي كان النصارى يولونها اهتماما كبيرا وذلك لمكانتها حيث كانت عاصمة الخلافة القديمة، وكانت قرطبة في هذه المرحلة تمر بمرحلة من الفوضى فهي بدون قائد ولا زعيم فكان أهلها يترددون بين الولاء لابن الأحمر تارة ولابن هود تارة أخرى[3]

انتهز النصارى هذا الوضع حيث تحرك النصارى القشتاليون صوب قرطبة التي كانت تدين بالولاء لابن هود ،هذا الأخير الذي كان يرتبط مع قشتالة بمعاهدة سلام، وكان هذا

---

[1]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص: 59/ يوسف آشباخ، المرجع السابق، ص: 178

[2]- قرطبة: قاعدة بلاد الإسلام وهي في ذاتها مدن خمسة يتلوا بعضها بعضا بين المدينة والمدينة سور حاجز، وهي في أسفل جبل مطل عليها سمي جبل العروس، ولقرطبة القنطرة العظيمة، انظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1426هـ/2006م، ص ص: 574-579.

[3]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، قس:2، ص ص: 417-418.

الزحف النصراني في أواخر ربيع الثاني من سنة 633هـ، أوائل سنة1236م، حيث خرجت جماعة من الفرسان القشتاليين[1]، واستطاعت أن تسيطر على إحدى مناطق قرطبة الخمس الشرقية التي تعرف بالربض الشرقي وذلك بمساعدة أحد الخونة من المسلمين فتسلقوا السور ليلا وقتلوا أعدادا كبيرة من المسلمين في تلك الجهة واحتلوا بعض الأبراج التي تحصنوا بها[2]، وأرسلوا في طلب المدد من ملكهم، فقام فرناندوا الثالث من فوره بالمسير إلى الجنوب نحو قرطبة، وكان أهل قرطبة قد استنجدوا بابن هود الذي خرج في جيش كبير حيث عسكر على مقربة من المدينة ومن العدو لكنه لم يحرك ساكنا ثم ما إن لبث حتى انسحب هو وجنده تاركا مدينة قرطبة لمصير مجهول وهذا ما يطرح ألف سؤال حول تصرف ابن هود؟[3]

كان النصارى قد أحكموا الحصار على قرطبة، واضطر أهل المدينة في البداية إلى مفاوضة ملك قشتالة في التسليم على أن يؤمنوا في أنفسهم وفيما يستطيعون حمله من متاعهم، فوافق الملك على ذلك لكن أهل قرطبة عادوا فنكلوا عن التوقيع لعلمهم أن جيش قشتالة تنقصه المؤن، لكنهم عادوا من جديد بعد أن رأوا أن ابن هود عقد هدنة مع قشتالة وما كاد عهد التسليم يعقد بين أهل المدينة وملك قشتالة حتى ترك أهل قرطبة دورهم وأوطانهم وغادروا المدينة[4].

---

[1]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص: 54.

[2]- ابن عذارى، قسم الموحدين، ص 331/ يوسف آشباخ، قسم الموحدين، ص: 183.

[3]- عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج3، ق2، ص ص: 421-423./عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص: 54.

[4]- يوسف آشباخ، قسم الموحدين، المرجع السابق، ص: 176./عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص: 54.

في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شوال 633هـ، الموافق للتاسع والعشرين من شهر جوان1236م دخل الجند القشتاليون مدينة قرطبة ورفع الصليب على قمة صومعة جامعها الأعظم وحول الجامع إلى كنيسة[1].

فهكذا تحولت حاضرة قرطبة من مدينة للإسلام وأهله إلى مدينة للكفر والإلحاد وكان لسقوط هذه المدينة أثر كبير في تراجع سلطان المسلمين بالأندلس، ولذلك قال أبو الطيب الرندي وهو يرثي بلاد الأندلس : [البسيط]

دَهَـى الجَـزَيـرَةَ أَمـرٌ لاَ عَـزَاءَ لَـهُ هَـوَى لَـهُ أُحُـدٌ وَانهَـدَ ثَمـلاَنُ

أَصَابَهَا العَينُ فِي الإِسلاَمِ فَامتَحَنَتْ حَتَى خَلَتْ مِنهُ أَقطَارٌ وَبُلْـدَانُ

فَـاسْـأَلْ بَلَـنَسـيَةَ مَـا شَـأْنُ مُـرْسـيَةَ وَأَيْـنَ شَـاطِبَةٌ أَمْ أَيـنَ جَيـَّانُ

وَأَيْـنَ قُـرْطُبَـةٌ دَارَ العُـلومِ فَـكـَمْ مِن عَـالِمٍ قَدْ سَمَاَ فِيهَا لَهُ شَـانٌ

حَيثُ الَمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسُ مَا فِيهِنَّ إِلاَّ نَوَاقِيسُ وَصُـلْبَانٌ[2]

سقوط إشبيلية[3]

---

[1]-المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص: 472./الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 459./ ابن عذارى، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص:331.

[2]-أبو الطيب الرندي: هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النفري ،من أهل رندة بالأندلس ،يكنى أبا الطيب وأبي البقاء ،كان فقيها حافظا متبحرا في النثر والنظم له مقامات ومختصر في الفرائض وله كتاب اسمه الوافي (الكافي) في علم القوافي وله كتاب روضة الأنس ونزهة النفس، انظر: الإحاطة، ج3، ص ص: 359-360./نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص: 487.

[3]-اشبيلية: بالكسر ثم السكون وكسر الياء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة ،مدينة كبيرة من مدن الأندلس وهي ذات أسوار وأسواق كثيرة ،وهي على النهر الكبير نهر قرطبة، بها كان بنو عباد، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، ، انظر: معجم البلدان، ج1، ص195./الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص: 541.

في خضم موجة الزحف النصراني على الأندلس كانت اشبيلية في هذا الظرف تحكم نفسها ذاتيا وتدين بالولاء هنا وهناك طبقا لما تقتضيه الظروف فبعد أن خرج أبي العلى المأمون الموحدي إلى مراكش والذي نصب نفسه خليفة[1]، وقوي نفوذ ابن هود في الأندلس فدان أهل اشبيلية بالطاعة لابن هود ثم بعد ذلك أخذوا البيعة لأبي زكريا يحي الحفصي في تونس.

لما رأى النصارى هذه الحالة التي تمر بها المدينة عزم فرناندوا الثالث ملك قشتالة على إسقاط اشبيلية فأخذ إذنا من البابا وطلب منه المساعدة في تجهيز الجيش، وكذلك اتصل بملك ليون من أجل مناصرته في هذه الحرب[2].

لقد وضع الملك القشتالي خطة للاستيلاء على هذه المدينة وذلك بالسيطرة على قواعدها الأمامية، فوجه حملته صوب جنوب الأندلس حيث معقل بني الأحمر حتى أنهم حاصروا غرناطة، كما حاصروا جيان التي كانت تحت سلطان بني الأحمر، ولما اشتد الحصار اضطر ابن الأحمر إلى عقد مصالحة مع الملك فرناندوا الثالث وذلك سنة643هـ/1245م[3]، نصت بنودها على أن يحكم ابن الأحمر باسم الملك القشتالي مع أداء الجزية المقدرة بخمسين ألف مثقال من الذهب، كما تعهد ابن الأحمر بمعاونة الملك النصراني ضد أعدائه من المسلمين ويقدم له عددا من الجند متي طلب منه ذلك[4]، ثم قام

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 341.

[2]- محمد ابن عبد الرحمن البشر، مآسي الاندلس، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1429هـ، 2008م، ص: 255.

[3]-لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تص، فهـ: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ، ص:36./عبد الله عنان، العصر الرابع، ص:43./ابن عذارى، قسم الموحدين، ص: 367.

[4]-عبد الله عنان، العصر الرابع، ص: 36./يوسف آشباخ، المرجع السابق، ق2، ص ص: 193-194.

ابن الأحمر بتسليم كل من جيان وأرجونة وبركونة وبيغ والحجار وقلعة جابر رهينة بحسن طاعته[1].

في مقابل هذا عقد ملك قشتالة السلم مع ابن الأحمر مدة عشرين سنة[2]، وكانت هذه الهدنة التي عقدها ابن الأحمر سببا في سهولة سقوط الكثير من المدن الأندلسية، ففي سنة 645هـ/1247م تنازل القاضي ابن محفوظ لملك قشتالة علي مدينة طبيرة، والعلي وشلب[3]والخزانة ومرشوشة وبطرنة[4] والحرة[5].

كما استطاع النصارى أن يستولوا كذلك على مدينة قرمونة حيث كان ابن الأحمر دليلهم وواسطتهم لإقناع قادة الحصون بالعدول عن المقاومة والتفاوض[6].

هكذا استطاع النصارى أن يستولوا على جميع المدن والحصون المجاورة لأشبيلية، حتى وصلوا إلى المدينة، فطوقوا الحصار عليها، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 645هـ الموافق لأوت 1247م، وصمم أهل اشبيلية على الدفاع عن مدينتهم حيث استمر الحصار ثمانية عشر شهرا كان ابن الأحمر يشجع النصارى على إحكام السيطرة على المدينة[7]، فأرسل

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1392هـ/1972م، ص: 72.

[2]- عبد الله عنان، العصر الرابع، ص: 43.

[3]- شلب: بكسر الشين وسكون اللم من بلاد الأندلس وهي قاعدة كورة أكشونبة لها جبل عظيم ينبت بها شجر التفاح، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 342.

[4]- بطرنة: بفتح الطاء وإسكان الراء، ينظر: محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوقلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر 1428هـ/2007م، ص: 207.

[5]- أبو زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 76.

[6]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 43.

[7]- يوسف آشباخ، المرجع السابق، ص: 196./عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 44.

أهل اشبيلية إلى إخوانهم في مراكش وفي تونس لكن أنى يستجيبوا لهم وهم منشغلون في الاقتتال فيما بينهم[1].

قال ابن عذارى في وصفه حصار اشبيلية: "أحدقت النصارى بمدينة اشبيلية وحاصروهم برا وبحرا وأذاقوا أهلها شرا...ورموا الحجارة بالمنجنيق"[2].

لما اشتد الحصار وأيس أهل المدينة من النجدة الخارجية اضطروا إلى التفاوض من أجل تسليم المدينة على جملة من الشروط من بينها :

-أن يكون المسلمون أحرارا في البقاء في المدينة متمتعين بممتلكاتهم لا يؤدون إلا الضرائب أو أن يهاجروا منها إلى حيث أرادوا بعد أن يبيعوا أملاكهم.

-أن تعطى مهلة شهر لمن قرر المغادرة.

-أن يسهل النصارى للمسلمين النقل البري والبحري وذلك عن طريق تأمينها[3].

في يوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة 646هـ الموافق للثالث والعشرون من شهر نوفمبر 1248م دخل فرناندوا الثالث مدينة اشبيلية في موكب فخم حيث توجه هذا الموكب إلى المسجد الجامع فقام الأحبار بتحويله إلى كنيسة ورفع علم النصرانية وعلم ملك قشتالة عاليا[4]

---

[1]- محمد بن عبد الرحمان البشر، مآسي الأندلس، ص: 256.

[2]- البيان المغرب، قسم الموحدين، ص: 380.

[3]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 45./عمارة سيدي محمد، المرجع السابق، ص: 58.

[4]- أبو زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 277./ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص: 219./المقري، المصدر السابق، ج4، ص: 472./ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص: 384.

فأخذ أهل المدينة المسلمين في الخروج من المدينة حيث قدر عدد من خرج منهم بحوالي نصف مليون خرجوا إلى مختلف جهات الأندلس وإلى المغرب[1].

لقد سقطت اشبيلية وصارت في حكم النصارى بعدما أن حكمها المسلمون أكثر من خمسة قرون لما كان المسلمون بالإسلام معتصمين وصدق الفاروق عمر إذ قال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة في غيرة أذلنا الله"[2]، فالنصر لا يكون إلا من الله لمن نصر الله.

قال الله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُوتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]

لقد كان سقوط اشبيلية إيذانا بسقوط سائر المدن والحصون الأندلسية فاستولى النصارى على شريش وشذونة وقادس وشلوقة وغليانة وروضة أوروطة وأركش وثغر شنتمرية وغيرها من القواعد[4]، حيث كان أهل الأندلس وقتها يطلبون العون من أهل المغرب لكن كما قيل لا حياة لمن تنادي.

قال ابن المرحل: [الرجز]

---

[1]- عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص:65.

[2]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القدر عطا، باب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، رقم:208،ص: 131.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 26.

[4]- عبد الله عنان، المرجع السابق، العصر الرابع، ص: 45.

اِسْتَـنصَرَ الدِّينُ بِكُم فَأَقْدِمُوا وأَسـرِجُـوا لِـنَصـرِهِ وأَلْجِـمُـوا

لاَ تُسْلِمُوا الإسْلاَمَ يا إِخْوانَنَا فـإِنَّـهُ إِنْ تُـسْلِـمُوهُ يُـسْلَـمُ

لاَذَتْ بِكُـمْ أنـدَلُسٌ ناشِـدَةً بِـرَحِـمِ الـدِّينِ ونِعـْمَ الرَّحِـمِ

واسْتـرْحَمَتْكُـمْ فَـارْحَمُـوهَا إِنّـهُ لا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ لا يَرْحَـمُ

ما هِيَ إِلاَّ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِكُمْ وأَهْـلُـها مِنْكُـمْ وأَنْتُـمْ مِنْهُـمُ[1]

المبحث الرابع:سقوط مملكة غرناطة[2]:

بعد تهاوي سلطان الموحدين في الأندلس والمغرب والسقوط المتسارع للحواضر الأندلسية لم يبق في الأندلس من يحمل راية الإسلام إلا حاضرة غرناطة أو مملكة غرناطة التي كانت تحت أيدي بني الأحمر، ولقد استطاعت هذه المملكة أن تسيطر على جزء كبير من بلاد الأندلس فهي تقع في جنوبي شرقي الجزيرة الإيبيرية وتنفتح حدودها الشرقية على البحر المتوسط لتشمل شمالا منطقة ألميرية[3]، وتمتد جنوبا حتى جبل الفتح أو جبل طارق،

[1]- لأبي الحكم مالك بن المرحل./ أبو زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص: 109.

[2]- غرناطة: بفتح أوله وسكون ثانية والصحيح هو أغرناطة بفتح الألف أسقطها العامة ومعناها رمانة، هي قاعدة بلاد الأندلس يشقها نهر قلزوم وبها أنهار كثيرة وبساتين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص: 195./ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلة ابن بطوطة)، تق تح: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ص: 383.

[3]- ألميرية: أو المرية: هي بين مملكتي مالقة ومرسيه، بنيت في عهد بني أمية، ينظر ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2، تح: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، بيروت، ص: 189.

أما حدودها الغربية فتنتهي عند سفوح الجبل الأسمر(سييرّا موربنا) والوهاد التابعة لمنطقة نهر الوادي الكبير[1].

لقد كانت غرناطة تحت سلطان الموحدين وبعد ضعفهم استطاع محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل أن يستقل بغرناطة وبعض المناطق الأخرى حتى قوي سلطانه في الأندلس التي كانت تمر بمرحلة عسيرة حيث كانت المدن الأندلسية تتساقط تارة في يد ابن هود وتارة أخرى بين أيدي ثوار النواحي الأخرى من النصارى[2]، وكان من بين الثوار والذي كان منافسا لابن هود محمد بن يوسف بن نصر ابن الأحمر[3]الذي دخل معه في عدة صراعات ومواجهات، لكن هذا الأخير لما رأى أن ابن هود قد قويت دعوته واتسع سلطانه أثر الانطواء تحت لوائه ومصانعته وكان ذلك سنة 631هـ، لكن ابن هود ما لبث أن توفي سنة 635هـ، وبوفاته انهارت دولته[4]، فعمل ابن الأحمر على المبادرة للسيطرة على الأراضي التي كان يحكمها ابن هود فاستطاع أن يدخل إلى غرناطة التي جعلها مقرا لحكمه ومملكته[5].

---

[1]- يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر(دراسة حضارية)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م، ص: 09.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص: 278./عبد الله عنان، العصر الرابع، ص: 38./أعمال الأعلام، ج2، ص: 246./المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 447.

[3]- ابن الأحمر: هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس ابن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد في مدينة أرجونة من حصون قرطبة سنة 591هـ/1195م، لقب بابن الأحمر لشقرة فيه كما لقب بالشيخ اعترافا له بزعامة بني نصر توفي في جمادى الثانية سنة671هـ/1272م، ينظر: الإحاطة، ج2، ص: 92-95./ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،ط1، 1412هـ/1992م، ج1، ص: 595 (رقم944) . /ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة، مرا: حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، مصر، ص: 20.

[4]- عبد الله عنان، العصر الرابع، ص: 39./ابن عذارى، قسم الموحدين، ص: 341.

[5]- ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص:35./أبو زرع الفاسي، المصدر السابق، ص: 60.

استطاع ابن الأحمر أن يدخل في مواجهات مع النصارى الزاحفين على الأندلس لكن قوة النصارى جعلت ابن الأحمر يدخل معهم في معاهدة صلح وكان ذلك في سنة 643هـ/1245م[1] مع ملك قشتالة فرناندوا الثالث فتم الاتفاق على أن يحكم ابن الأحمر مملكته وأراضيه باسم ملك قشتالة فترك النصارى منطقة غرناطة وما جاورها لهؤلاء "اللامؤمنين" على حد تعبير واشنطن ايرقنغ[2]

مما ورد في بنود هذه المعاهدة نذكر:

1-أن يدفع ابن الأحمر جزية سنوية إلى ملك قشتالة مقدارها 150000 د ذ.

2-أن يحضر اجتماع مجلس قشتالة النيابي (لكورتيس).

3-أن يحكم غرناطة باسم ملك قشتالة علانية.

4-أن يسلمه مابقي من حصون جيان وأرجونة وغرب الجزيرة الخضراء.

5-أن يساعده في حروبه ضد أعدائه[3].

لقد كانت هذه المعاهدة إيذانا بسقوط الأندلس وسببا كبيرا في سقوط غرناطة[4]، حيث استطاع النصارى بعدها أن يسيطروا على عدة حواضر وذلك لمساعدة بني الأحمر[5].

الأحمر[5].

---

[1]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص: 36./ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص: 367.

[2]- واشنطن إيرقنع، أخبار سقوط غرناطة، تر: هاني يحي نصري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2000م، ص: 69.

[3]- ابن عذارى، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص: 367.

[4]- عبد الله عنان، العصر الرابع، ص ص:42-43.

[5]- راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1432هـ/2011م، ص: 639.

لقد استطاعت مملكة غرناطة أن تحافظ على وجودها مدة طويلة دامت مائتين وخمسين عاما تحت الوصاية النصرانية فكانت هذه القرون مليئة بالصراع ،فالنصارى وكعادتهم كانوا يتهجمون على بعض المدن ويحتلونها ويحاول ابن الأحمر أن يستردها فلا يفلح في ذلك[1]إن إبقاء النصارى علي مملكة غرناطة كل هذه المدة ليس إلا من اجل التفرغ للسيطرة علي كامل أراضي الأندلس ، وهذا ما كان لهم ، حيث لم يبق على ملكي قشتالة وأراجون (فيرناندو وايزابيلا) بعد أن دانت لهما سائر الثغور والقواعد الأندلسية الجنوبية والشرقية لإتمام خطتهما في القضاء على دولة الإسلام بالأندلس سوى الاستيلاء على غرناطة[2]التي لم تؤسس على التقوى بل أسسها ابن الأحمر على شفا جرف هار معتمدا على عهد صليبي لا أمان له، مثلما أخبرنا الله عز وجل عنهم بقوله: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلَ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُومِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾[3]

لقد كان لاتحاد الممالك النصرانية قشتالة وأراغون دور كبير في القضاء على سلطان المسلمين بالأندلس وما بقاء مملكة غرناطة كل تلك المدة إلا بسبب الخلاف التي كانت عليه الممالك النصرانية.[4]

---

[1]- علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص:58-59.

[2]- المرجع نفسه، ص: 59.

[3]- سورة البقرة، الاية رقم :99.

[4]- راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1432هـ/2011م، ج2،ص: 667./عبد الله عنان، العصر الرابع، ص: 180.

ولعل من الأسباب التي عجلت بسقوط غرناطة هو الصراع على الحكم في داخل المملكة وخاصة في السنوات الأخيرة قبل السقوط ففي سنة871هـ/1447م اختلف على الحكم كل من علي بن سعد بن محمد بن الأحمر الغالب بالله وأخيه أبي عبد الله محمد الزغل[1]، اللذان دخلا في صراع فاستعان أبو عبد الله الزغل بملك قشتالة في حربه ضد أخيه، وقامت حرب بينهما انتهت بالصلح على تقسيم غرناطة بينهما قسم شمالي على رأسه الغالب بالله وقسم جنوبي مالقة وبعض الولايات الأخرى لأبي الزغل[2].

كان هذا التقسيم سببا في إضعاف المملكة والتمهيد للاستيلاء عليها تحت شعار فرق تسد.

بعد هذا التفرق والخلاف على الحكم استغل الملك فرناندو الخامس هذا الوضع وبدأ يهاجم حصون غرناطة ودارت بينه وبين المسلمين عدة حروب ثم قام هذا الأخير بحصار غرناطة[3].

بدأ النصارى بالاستيلاء على المناطق المحيطة بغرناطة ثم عسكروا في جنوب غرب المدينة حيث بنوا معسكر شنتيفى أو الإيمان المقدس[4]، وابتدأوا من هذا المعسكر بالإغارة على المدينة وتشديد الصراع عليها لتبرز حركة جهادية عظيمة وبطولات من أجل رد الجيش النصراني عن المدينة لكن هذه المحاولات لم تجدي نفعا مقارنة بقوة العدو.

لقد استمر هذا الحصار نحو سبعة أشهر خسر فيها أهل غرناطة كثيرا من فرسانهم ورجالهم وكان ذلك سنة 896هـ/1491م، ومما زاد الأمر تعقيدا انقطاع المؤن التي كانت

---

[1]- الزغل: بمعنى الشجاع أو الباسل من مصدر زغلة.

[2]- عبد الله عنان، العصر الرابع، ص:192.

[3]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص ص: 672-675.

[4]- مؤلف مجهول، كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ظب تع: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،ط1، 1423هـ/2002م، ص: 37.

تأتيهم من جهة جبال شلير(جبال الثلج) بسبب نزول الثلج والأمطار[1]، لكن رغم ذلك بقي أهل المدينة صامدين يشجعهم البطل موسى بن أبي الغسان الذي خرج في جيش ودارت بينه وبين ملك قشتالة حرب[2]، لكن لما اشتد الحصار كثيرا لم يجد أهل المدينة من حل سوى المفاوضة من أجل تسليم المدينة للعدو، فأرسل الأمير أبو عبد الله للمفاوضة مع الملك فرديناند لتنتهي بتسليم المدينة في الخامس من نوفمبر1491م الموافق للواحد والعشرين محرم 897هـ، ولقد تضمنت هذه الوثيقة 56مادة حسب المصادر القشتالية و67 حسب العربية[3]، وكان من بين بنودها:

– تأمين المسلمين على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم وعقائدهم.

– أن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كما كانت.

– أن يعامل الملك أبو عبد الله وسائر السكان برفق وكرامة[4]

وبالفعل تم تسليم غرناطة في الثاني من ربيع الأول 897هـ الموافق للثاني من يناير 1492م، ليخرج أبو عبد الله متوجها نحو فاس تاركا غرناطة والأندلس للنصارى والصليبيين[5]

إِبْكِ مِثْلَ النّسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا لَمْ تُحَافِظْ عَلَيهِ مِثْلَ الرِجَالِ.[6]

[1]– المقري، نفح الطيب، ج4، ص ص: 524-525.

[2]– عبد الله عنان، العصر الرابع، ص ص: 539-540.

[3]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب،1418هـ/1997م، القسم2، ج4، ص: 104

[4]– المرجع نفسه، ص ص: 104-105.

[5]– علي حسين الشطشاط، المرجع السابق،ص: 67.

[6]– أم عبد الله الصغير، عائشة الحرة، قالتها له حين خرج من غرناطة.

لكن النصارى ما إن سيطروا على غرناطة نقضوا كل العهود لتبدأ سياسة الاضطهاد والتنصير ومحاكم التفتيش وذلك في سنة 905هـ/1499م[1] مما جعل الكثير منهم يفرون نحو المغرب، ولتكون بهذا النهايات الأخيرة للوجود العربي والإسلامي في الأندلس.

إن سقوط غرناطة هو سقوط الأندلس تحت حكم النصارى،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف المسلمين لابتعادهم عن دينهم حتى صدق فيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم)«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها، قال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.[2]»

قال يحي القرطبي وهو يبكي غرناطة: [البسيط]

وَأَيْـنَ غَـرْناطَةُ دَارُ الجِـهَادِ فَكَـمْ أُسْدٍ بِهَا وَهُم فِي الحَرْبِ فُرْسَانُ

وَأَيْـنَ حَمْـرَاؤُهَـا العُـلْيَا وَزُخْـرُفُهَا كَأَنَّهَا مِن جِنَانِ الخُلْدِ عَـدْنَانُ

وَأَيْـنَ جَامِعُهَا المَشْهُورُ كَمْ تُلِيَتْ فِي كُـلِّ وَقْتٍ بِـهِ آيٍ وَقُـرْآنٌ[3]

---

[1]– حسين مؤنس، معالم الأندلس والمغرب، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، 1492م، ص:455.

[2]- حديث حسن، رواه أبو داود، أبو داود بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنئوط، محمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط خ، 1430هـ/2009م، ص: 355. رقم الحديث: 4297.

[3]– جمعة شيخة، صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسي، مجلة دراسات أندلسية، عدد خاص(7)، مجلة علمية مختصة في الدراسات المتعلقة باسبانيا الإسلامية، المطبعة المغربية للطباعة والنشر، تونس، ص: 25.

الفصل الثاني: مظاهر الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط.

المبحث الأول: البدايات الأولى لهجرة الأندلسيين.

المبحث الثاني: بلاد المغرب أرض استقبال المهاجرين.

المبحث الثالث: بعض العلماء و رجال السياسة الأندلسيين المهاجرين إلى بلاد المغرب الأوسط.

المبحث الرابع: البيوتات الأندلسية التي استقرت ببلاد المغرب الأوسط.

الفصل الثاني: مظاهر الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب.

المبحث الأول: البدايات الأولى لهجرة الأندلسيين.

إن العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب الأوسط سابقة للعهد الزياني إذ ارتبط القطران بعلاقات متينة شملت مختلف المجالات منذ عهد الدولة الأموية بالأندلس[1].

إن عمق هذه العلاقات السياسية بينهما وتميزها جعل المغرب الأوسط محطة من محطات الهجرات المنبعثة من العدوة الأندلسية،ولم يكن ذلك في فترة الزيانيين والحفصيين فقط وحسب، بل وسبق فترة انهيار غرناطة وسقوطها، وذلك بالتوجه نحو مدنه وأقاليمه وخاصة تلمسان وبجاية، حيث نجد أن الكثير من الأندلسيين فضلوا الاستقرار به فعاصمة الزيانيين تلمسان قد هاجرت إليها جاليات أندلسية عديدة كأسرة بني وضاح وبني ملاح، وغيرها من الأسر التي ساهمت مساهمة فعالة في النشاط السياسي والعلمي، وذلك من خلال دفع الحركة العلمية التعليمية بالمغرب الأوسط إذ أنجبت هذه الأسر عددا من العلماء الذين ساهموا بدور فعال في ازدهار الحضارة الزيانية.

ما إن بدأت الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي، وخاصة المغرب الأوسط بعدما تمكن المرابطون من ضم أجزاء الأندلس من سيطرة ملوك الطوائف 422هـ، ومن ثم عقبهم الموحدون الذين ساروا على خطاهم في الحفاظ على الأندلس كجزء من بلاد المغرب الإسلامي وألحقوها بممتلكاتهم[2].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،1999، ص:96.

[2]- ناصر سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص:127، نقلا عن محمد سعيداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، (1436-1437هـ/2015-2016م)، ص:86.

نتج عن هذا هجرة الاندلسيين إلى المدن المغربية حيث ساهم ضم الأندلس بشكل كبير في تنشيط الهجرة، ولعل أول حدث فتح باب الهجرة هو استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة478هـ/1085م، حيث ينقل المقري عن الشاعر الأندلسي عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن عسال متحصر على سقوط أجزاء كبيرة تحت سيطرة النصارى وخاصة طليطلة:

يَا أَهْـــلَ أَنْدَلُسٍ حُثُّوا مَطِيَّكُـمْ فَمَـا المقَـامُ بِهَا إلاّ مْـــنُ الغَلـطُ

الثَّوْبُ يَنْسِـلُ مِنْ أَطْـرَافِهَ وَأَرَى ثَوْبَ الجَزِيـرَةِ يَنْسِـلُ مِنَ الوَسَـطِ

مَنْ جَـاوَرَ الشَّـرَ لا يَـأْمَنُ بَوَائِقَـهُ كَيْفَ الحَيَاةُ مَعَ الحَيَّاتِ فِي سَقَطٍ

لكنها هذه المرة صيحة منذرواقعة ومحركة"[1].

وفي فترة الموحدين ارتبطت المدن الساحلية للمغرب الأوسط بمرافئ شرق الأندلس مثل طرطوشة[2]، ودانية، وألميرية[3]، وأصبحت السواحل المغربية المحطة الأولى للأندلسيين، حيث استقروا بها بعد اجتياح النصارى لبلادهم وذلك لأن أقاليمها مماثلة لأقاليم الأندلس الشرقية منها و الجنوبية من حيث خصوبة التربة واعتدال المناخ وكثافة الغطاء النباتي[4]، ولعل أبرز فترة شهدتفيها حركة الهجرة تزايدا كبيرا في حكم الموحدين هي التي تلت هزيمة العقاب (609هـ/1213م) وسقوط الحواضر الكبرى بالأندلس في أيدي النصارى (قرطبة 635-

[1]- علي أحمد علي كرير، المهاجرون الأندلسيون و تأثيراتهم على بلاد المغربين الأدنى والأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (13-14م)، جامعة الزاوية، ليبيا، ط1، ص:76.

[2]- طرطوشة:مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية و قرطبة من البحر متقنة القارة مبنية على نهر ألبيرة، ياقوت الحموي، ج4، ص:30.

[3]- ألميرية: مدينة محدثة أمر المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد: سنة 344هـ واتخذ بها العرب مرابطا و بنيت بها المحارس، الحميري، الروض المعطار، ص:537.

[4]- ناصر سعيدوني، مظاهر التأثير والتأثر الإيبيري، والوجود الأندلسي، دراسات أندلسية، دار الغرب الاسلامي، 2003، ص:102، نقلا عن علي أحمد كرير، المرجع السابق، ص:96.

1238)(بلنسية634-1238) مما جعل أهلها يغادرون ديارهم نتيجة للحزن والجوع اللذان أصابهما وتفرقوا في نواحي الأندلس الأخرى[1].

وفي ظل بني الأحمر فتحت غرناطة أبوابها للمهاجرين منذ منتصف القرن السابع هجري، حيث بدأ سكان المدن ينزحون خاصة سكان قرطبة و اشبيلية ثم أبناء جيان ومرسيه كما سهل الأرجوانيوننزوح سكان بلنسية إلى غرناطة والمغرب[2].

وخرج من مدينة لورقة عدد كبير اتجاه غرناطة فيذكر أن المقري أبو الحسن ابراهيم المعروف بابن الرقاص أنه خرج من لورقة بعدما تغلب العدوعليها واستقر بغرناطة وأقرأبها القرآن وبها توفي وانتقل أبوه الى فاس[3].

وكذلك الشيخ القاسم بن محمد سليمان الأوسي القرطبي عرف بابن الطيلسان الذي خرج من مدينة إلى مدينة من أجل اللحاق بغرناطة، وكان على معرفة بالقرآت العربية متقدما في علم الصناعة الحديث معنيا بتدوينه وتقييده خرج من قرطبة بعدما استولى النصارى عليها في أواخر سنة 636هـ إلى مالقة فتولى إمامها وخطبة قصبتها سنة 642[4].

ثم في فترة ضعف الموحدين وسقوط مدنها خاصة اشبيلية التي كان لها أثر بالغ في نفوس المسلمين والذي كان إيذانا ببداية الهجرة الجماعية[5]،حيث تمكنوا بعد فترة قصيرة من الزمن من

---

[1]- محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ-1990م، قس: 2،ص:440-451.
بلنسية: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بكورة تدمير وفيها شرق قرطبة ياقوت الحموي، ج1، ص: 490.

[2]- يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، دار الجيل بيروت، ط1،1413هـ-1993م، ص:81.

[3]- لسان الدين، الإحاطة، المصدر السابق، مج1، ص:328.

[4]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الاسلامية، طرابلس، ط1، 1398هـ-1989م، ص:361.

[5]- ناصر سعيدوني، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي، المصدر السابق،ص20،نقلا عن: علي أحمد، المرجع السابق، ص: 80.

السيطرة على مرسيه سنة 664هـ-1167م، وذلك بعد أن واصل النصارى الهجوم على المدن وإسقاطها ليجد أهلها أنفسهم أمام أمرين اثنين إما الموت وإما الهجرة،حيث أجبرواعلى الهجرة إضافة إلى الغدر بهم فيذكر ذلك ابن عذارى بقوله"دخلها بجيشه لم يدعوا في المسلمين عهدا ولا أدنى حد للإنسانية حيث تركها أهلها...وخرجوا منها بأمان ...فسكنوا بها مدة عشر أعوام إلى أن كان أمرهم ما كان، حيث أخرجوهم في سنة ثلاث و سبعين وغدروا بهم في الطريق أجمعين وذلك بموضع يقال له بوركال". و قد ذكر ابن الأبار عددا من المدن الأندلسية التي سقطت بأيدي النصاربرغم أنها كانت قوية[1]،ويقول ابن خلدون: "فلما تكالب الطاغية على العدوة، والتهم ثغورها واكتسح بسائطها، وأشف إلى قواعدها وأمصارهاجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أراضي المغربيين وافريقية"[2].

ونفهم من قول ابن خلدون أن المهاجرين الأندلسيين، كان مقصدهم بلاد المغرب بعد غرناطة ونلاحظ أنه قد ركز إلى حد كبير على أهل العلم والعائلات التي كان لها دور فعال في العلوم في الأندلس من خلال كثرة الزاد العلمي والمعرفي الذي كانوا يتوفرون عليه.

[1]- ابن عذارى:البيان المغرب، قسم خاص بالموحدين، ص:432.

[2]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص: 683-684.

المبحث الثاني: بلاد المغرب أرض استقبال المهاجرين

نزلت جالية كبيرةمن الأندلسيين بأرض المغرب الأوسط وخاصة تلمسان في منتصف القرن التاسع هجري، ليقرروا الاستقرار بها نظرا لما وجدوه من الأمن والاستقرار وحسن الإكرام من طرف السلاطين الزيانيين، غير أننا نجد أن البعض منهم تفرقوا على المدن الموجودة على الساحل كمدينتي الجزائر وبجاية في حين توجه البعض الآخر إلى ندرومة وهنين[1].

نجد أن السلاطين الزيانيين قد أولوا اهتماما كبيرا بالهجرة والمهاجرين الأندلسيين نظرا لما كان يتميز به هؤلاء المهاجرون، فقد كانوا من وجهاء القوم والأعلام وأهل البيوتاتوأعيان الأندلس[2]، حيث ساهموا بشكل كبير في إعانة أمراء بني زيان خاصة وأنه كانت لهم خبرة في التعليم والمجال السياسي والإداري، إضافة إلى ذلك فقد كانت لهم دراية في تسيير شؤون الدولة دون أن ننسى المعرفة الكبيرة بالمجال العسكري[3].

في حين نجد أن الأمراء أنفسهم ساهموا في تنشيط الحركة الفكرية وازدهارها في تلمسان وذلك بمكافئة المتفوقين والنبهاء لتوفرهم على العلوم حتى أننا نجد أن يغمراسن بن زيان قد أصدر في حقهم ظهيرا[4] يثبت العناية الكاملة بهم.

أما ما تعلق بجوانب حياتهم الإجتماعية فقد مكنوا من السكن وتملك للأراضي الزراعية المناسبة لنشاطهم، كتعويض عن ما فقدوه في وطنهم، وإصدار ذلك الظهير من طرف السلطان يغمراسن لابد وأنه خضع للعاطفة الدينية والأخوية والإنسانية التي كان لها الأثر الكبير في

[1]- استعمل ابن خلدون كلمة جالية للدلالة على الجماعة الكبيرة، العبر، ج6، صص: 683-711-787.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 683.

[3]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص: 175.

[4]- المرجع نفسه، ج1، ص: 175.

إصداره، بحيث تم تصنيف هؤلاء المهاجرين الأندلسيين كل حسب المهنة و المكان المناسب له، ومطالبة الجميع و حثهم على تنفيذ الأوامر الصادرة في هذا الشأن[1].

كما ينص الظهير على أن يغمراسن "بوأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنات ألفافا"[2] وذلك على خلفية ما لحق بالأندلسيين من مصائب في عقيدتهم وفي أموالهم و أوطانهم.

ونلاحظ أن المهاجرين الأندلسيين فضل لهم يغمراسن أن يسكنوا مدينة تلمسان عن باقي المدن الأخرى، وعمد يغمراسن من خلال الظهير،الذي أصدره إلى تهدئة لنفوسهم المصابة من ظلم خصومهم، وذلك من أجل ضمان مستقبلهم وأن لا يخافوا على حاضرهم.

الظاهر أن أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان، هي التي كانت في عهد الأمير بن عبد الواحد بن أبي عبد الله (814_827هـ/1411-1424م) وخلفه أبي العباس أحمد الزياني (834-862هـ/1431-1462م)،فهذا الأخير الذي قام بإسكان العامة والفلاحين ضواحي المدينة وأحوازها ولا سيما في الوادي الوريط فانتشروا على ضفتيه، حيث شيدوا قرى وبساتين وأسسوا مصانع عديدة ومتاجر كثيرة، وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار، فجلبت للبلاد وأهله الخير والنعمة، حيث أظهروا صناعهم ومتجرهم ما أنعكس إيجابا على المدينة وأهلها وملئوا الشعاب بالبساتين المتنوعة الثمار، وأنواع الرياحين والأزهار[3]،وقد ووجههم حسب طبقاتهم وحرفهم بعدما رحب بهم، فالعلماء والوجهاء وسراة القوم، أنزلهم عاصمته

[1]- عبد العزيز فيلالي، المصدر السابق، ج1، ص: 175.
[2]- المرجع نفسه، ص:176.
[3]- نفسه، ص:176.

مدينة تلمسان، وأنزل معهم التجار والحرفيين، وأصحاب رؤوس الأموال في درب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين[1].

هذا الاهتمام الكبير من قبل السلاطين الزيانيين بالمهاجرين الأندلسيين جعل الكثير من مدن المغرب الأوسط كتلمسان، ندرومة، هنين، وجهة من الوجهات المفضلة للمهاجرين الأندلسيين في الجهة الغربية للمغرب الأوسط.

أما من الناحية الشرقية للمغرب الأوسط، فقد كانت بجاية من أكبر المحطات الشرقية التي نزل فيها المهاجرون، حيث ساهم قيام الدولة الحفصية سنة 624هـ، في هجرة الأندلسيين إلى المدن الساحلية الواقعة تحت حكمها بشكل كبير، ومما لا شك فيه ان العلاقة الحسنة بين الحفصيين وأهل الأندلس كانت أحد الأسباب الهامة في إقبالهم على المدن المغرب الأوسط، دون أن ننسى فترة الاستقرار الذي شهدته الدولة الحفصية، واتساع رقعتها الجغرافية وقدرتها على مواجهة العدوان الخارجي بالإضافة الى تحسين أحوالها الاقتصادية،كل هذا جعلها مركزا أو قطبا للمهاجريين الأندلسيين، ومما زاد من أهميتها موقعها، إذ أن إقليمها مماثل لأقاليم الأندلس الشرقية و الجنوبية من حيث خصوبة التربة و اعتدال المناخ وكثافة الغطاء النباتي[2].

ومن الأسر الكبيرة الوافدة من الأندلس أسرة ابن الابار الذي ترك مدينة بلنسية بعد سقوطها فكانت وجهته أولا إلى حاضرة بجاية لقربها من بلده، فرحب به أبو يحيى بن زكرياء وولي عهده ، ولم يلبث أن انتقل إلى المغرب الأدنى وهناك عمل كاتبا للخليفة الحفصي أبو زكرياء[3]، بالإضافة إلى أسرة ابن الدباغ التي ارتقت أعلى المناصب في الدولة الحفصية وكانت

[1]- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه ابن أبي شنب، مدرسة الآداب العليا، الجزائر،(1226هـ/1908م)، ص: 135.

[2]- عبد الله بن علي الزيدان، الاندلس قرون من التقلبات و العطاءات،القسم الثالث الحضارة والعمارة والفنون مكتبة الملك عبد العزيز العامة،ط1،(1418-1996)، ص: 82.

[3]- روبار برنشفك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من الق13إلى الق15م، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج2،ص:427.

الأسرة قد هاجرت من غرب الأندلس سنة 646 ،كما ذكر ابن خالدون أسرة سيد الناس التي جاءت من غرب الأندلس إلى افريقية. والتي كان لها دور في الحياة السياسية والثقافية في بلاد الأندلس[1].

وصارت مقصدا للمهاجرين وذلك بفضل انتماء الحفصيين الأندلسي واستقرارهم السياسي[2].

[1]-ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 427.

[2]-المصدر نفسه، ص: 437.

المبحث الثالث: بعض العلماء و رجال السياسة الأندلسيين المهاجرين إلى بلاد المغرب الأوسط.

يلاحظ من خلال الهجرات أنه قد جاء إلى أرض العدوة المغربية وبجاية بالتحديد خيرة الطبقة المثقفة من العلماء، ووفد اليها الكثير من الحرفيين و الصناع حيث ذكر الغبريني أن أبي بكر محمد بن محرز المتوفي 675هـ أنه كان رئيسا للجماعة الأندلسية ببجاية والكل يأتي الى منزله وعنده مجمعهم مثل أبي عبد الله ابن الأبار،وأبي المطرف بن عميرة، وأبي بكر بن سيد الناس وغيرهم وفي كثير من الأحيان تقلد العديد من هؤلاء الأندلسيين مناصب عليا في إمارة بجاية وغيرها، فمنهم من برع في كتابة العلامة والانشاء ومنهم من كان في ديوان الأشغال واخرون في الحجابة والوزارة، أما القضاة الأندلسيون المهاجرون إلى مدينة بجاية فقد ذكر الغبريني القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز، الذي ولي القضاء وإقامة الصلاة بجامعها الأعظم، وأضاف الغبريني أنه كان مقدما ما في فصل الأحكام وله صلابة ووقوف مع الحق إلى أن توفي 679هـ[1].

إن بجاية بحكم موقعها الجغرافي والسياسي وعطاءها الاقتصادي ساهمت بشكل فعال في استقطاب المهاجرين لاسيما الطبقات الراقية في بلاد الأندلس ليشكلوا طبقة اجتماعية في المغرب الأوسط، وبالإضافة إلى مدينتي بجاية وتلمسان اللتين تركزتا عليهما الهجرات الأندلسية وبشكل كبير نظرا لأسباب قد تكون اقتصادية أو سياسية أو ثقافية وذلك بحكم موقعهما الاستراتيجي، كانت هناك مدن أخرى استقطبت المهاجرين الأندلسيين ولكن ليس بعدد الذين دخلوا إلى تلمسان وبجاية وذلك لأن عددهم كان قليلا فقد تواجدت عائلات أندلسية قليلة

[1]- محمد الشريف سيدي موسى، مدينة الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية تق: محمد الأمين بلغيث ، دار كرم الله للنشر والتوزيع، 2011م، ص:62 -64.

بمدينة الجزائر التي استقبلتهم وضمنت لهم الإقامة[1]، والحماية وذلك بعد امتلاكهم من طرف أبي حمو موسى الأول حيث أنه كان لهم حي خاص وهو حي الثغريين بضواحي المدينة والذي يطلق عليه اسم تاغرة اليوم ومن المهاجرين الذين برزوا بها محمد بن صالح البلنسي الذي هاجر من بلنسية واستقر بمدينة الجزائر فترة طويلة أهلته لأن يكون أحد أبرز شخصياتها الثقافية الذي كان بارعا وماهرا في نظم القصائد الشعرية[2].

بعد تكالب النصارى على الأندلس وبدئهم في السيطرة على أقاليمها الواحد تلو الاخر إلى أن سقط في أيديهم أخر المعاقل الإسلامية ألا وهي غرناطة التي كانت تحت حكم بني الأحمر سنة 827هـ-1492م،استمر تدفق المهاجرين الأندلسيين إلى العدوة المغربية،وكان النصارى قد بدءوا في طرد سكان غرناطة من المسلمين.

لعل أهم شيء شجع مسلمي الأندلس على الهجرة الجماعية من بلدهم هو صدور مختلف الفتاوي التي صدرت من علماء عايشوا الفترة التي حثت على الهجرة وبينت وجوبها في مثل هذه الظروف فتزايد عدد المهاجرين نحو العدوة المغربية، ومن تلك الفتاوى فتوى العالم أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن علي الونشريسي في فتواه أنسى المتاجر في بيان من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر التي حث فيها مسلمي الأندلس واعتبرها فرضا واجبا على المستضعفين فيقول "أن الهجرة من دار الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة "[3]ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنة الله عليه على معاقلهم في وبلادهم إلا تصور العجز عنها بكل وجه وحال، لا الوطن ولا المال فان ذلك ملغى في نظر الشرع .

[1]- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان ، تق : محمد بن أحمد بن علي ، الأصالة للنشر والتوزيع، ط2، ص: 142.

[2]- مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، ط2، سنة 2012، ج1، ص:17.

[3]- الونشريسي، المعيار العرب، المصدر السابق، ص:121.

وشهدت ولاية السلطان أبي عبد الله محمد الثاني (873-910هـ/1468-1505) استقبال الأمير الأندلسي أبو عبد الله محمد بن سعد الزعل، أحد أمراء بني الأحمر، حيث نزل مدينة وهران، ثم جاز إلى تلمسان واستقر بها رفقة أهله وحاشيتهم، فاستقبلهم محمد الثاني بحفاوة وإكرامإلى أن وفاته كانت بعد ذلك بسنوات قليلة بتلمسان، ودفن بالمقبرة الموازية للمسجد الجامع، ولا يزال نسله بها إلى الآن يعرفون ببني سلطان الأندلس[1].

[1]- المقري، المصدر السابق، ج5، ص: 524.

المبحث الرابع: البيوتات الأندلسية التي استقرت ببلاد المغرب الأوسط

1- أسرة بني وضاح:

هم أسرة وفدت من شرق الأندلس وهي من بيوتات العلم والحديث بالأندلس، وينتسب هذا البيت إلى محمد بن وضاح بن يزيغ القرطبي(ت287هـ)وكان محمد الوضاح عالما بالحديث بصيرا بطرق متكلما على علله، كثير الحكاية عن العباد درعا، زاهدا، محتسبا في نشر علمه وأصل هذا البيت من قرطبة وقد خرج من هذا البيت عقب طيب منهم أحمد بن محمد بن وضاح ومحمد بن وضاح[1]، جعله يغمراسن كاتبا في بلاطه صدرت عنه عدة مراسلات إلى ملوك الموحدين بمراكش وبني حفص بتونس[2].

واتخذ منهم الأمير عبد الواحد ابن عبد الله (814-827) بطانة ومرجعا كجالية أندلسية، بالإفاضة إلى اتخاذهم أعوانا مما دفعه إلى الانغماس في ملذات الحياة،في حين رد عليه أعيان المدينة ووجهاءها، وأنكروا تلك التصرفات يقول الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن مرزوقالحفيد،ت:824هـ/1439م.

تِلِـمْسَـانُ دَارٌ لَا تَلِيـقُ بِجَاهِنَـا وَلَكِنْ لُطْفَ اللَهِ نَسْأَلُ فِي القَضَا

فَكَيْفَ يُرْجَى الخَيْرَ مِمَنْ يَسُوسُهُ يَـهْوَى وَفِجَارِ مَنْ لَيْسَ يَرْضَى[3].

---

[1]- أبو الوليد عبد الله بن محمد، ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2، دققه وضبط نصه و علق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي تونس، ط1، 1429-2008، ص ص: 25-26، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، صححه عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1374م، ص: 646-647، محمد بن زيد العابدين رستم،بيوت العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت، 1430هـ-2009م ص ص: 30-34.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 205.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 179.

2- بيت بني الملاح:

أصل هذا البيت من قرطبة، ولقد كانت مهنة أهل هذا البيت والتي اشتهروا بها السكة وسبك الدنانير والدراهم وهي من الوظائف السامية في أي دولة. وهذا يدل على أن هذه الأسرة تبوأت منزلة ومكانة عالية لكن ا البيت لم تشر المصادر إليه حيث يكتنف الغموض أصل هذا البيت ومراحل تأسيسه[1].

والذي يهمنا هو أن هذا البيت هاجر إلى بلاد المغرب الأوسط و أقام فيها وكان له دور كبير حيث أن أهله شغلوا الكثير من المناصب الهامة في الدولة الزيانية وهذا ما أشار اليه عبد الرحمن ابن خلدون وكذلك أخوه يحي ابن خلدون.

حيث يذكر عبد الرحمن ابن خلدون " وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم...نزل أولهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الأولى و زادوا اليها الفلاحة وتحلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه وكان لهم في دولة أبو حموا مزيد حضوة وعناية[2].

ومن الذين برزوا في تقلد المناصب العالية في الدولة نذكر عبد الرحمن بن محمد بن الملاح الذي كان صاحب أشغال يغمراسن (الوزارة)[3].

وفي عهد السلطان أبو حمو موسى الاول (708هـ-718هـ/1308م-1318م) اتخذهم أمناء على بيت المال وفوض اليهم ضرب السكة من دنانير ودراهم واستدلهم مناصب

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص:141 /عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلس إلى المغرب الأوسط، ص: 73.
[2]- المصدر نفسه، ص: 141.
[3]- يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص:113.

سلطانية كوزارة المال والحجابة وذلك لما يتمتعون به من خبرة[1].

ومن الوزراء الذين برزوا في عهده محمد بن ميمون بن الملاح الذي جمع بين الوزارة والحجابة في آن واحد.

- محمد الأشقر بن محمد بن ميمون الملاح.

- إبراهيم بن محمد بن ميمون كان وزيرا للسلطان أبي حمو.

- علي بن عبد الله بن الملاح[2].

ولقد بقي لهذه الأسرة نفس الحضوة و المكانة حتى مقتل السلطان حمو781هـ، حيث هلك كل الوزراء من بني الملاح واستبيحت منازلهم[3].

3- بيت بن داود البلوي: 890هـ-898هـ.

كان موطنهم الأول هو مدينة آش إحدى مدن كورة ألبيرة[4] ، فقد عملوا في بلاط بني الأحمر حيث كان أبو جعفر بن داود صاحب الأشغال حيث قال عنه لسان الدين "شيخ العمال المؤتمن على الجباية والمال ، المستوفي شروط الفضل على الكمال تواضع... ولازم مجالس

[1]- نصيرة عزرودي، هجرة الأندلسيين السياسة الى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ-13م إلى القرن 4هـ-14م، مجلة المواقف، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ العدد04ديسمبر2009، مجلة أكاديمية ، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، منشورات جامعة معسكر،الجزائر، ص:45./ فؤاد طواهرة، المجتمع الاقتصاد خلال العصر الزياني (ق7هـ-9هـ/13هـ-15م)، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد16 حزيران 2014، مجلة دورية محكمة ، جامعة الجزائر 2 كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ ،الجزائر، ص: 08.

[2]- العبر، ج7، ص: 141/-دراسات تاريخية، فؤاد طواهرة، ص60.

[3]- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بن زيان ملوك تلمسان،مقتطف من نظم الدر العقيان في بيان شرف بني زيان، تح وتع: محمود اغا بو عياد دار موفم للنشر، الجزائر 2011، ص: 138،/ العبر، ج7، ص141.

[4]- الحميري، الروض المعطار في عجائب الأسفار، ص:604 .

الملوك بحيث يضر وينفع فما شاب بالإساءة إحسانا ولا أعمل في غير المشاركة لسانا... واشتهر بالوفاء وله أدب يصيب شاكله الرسي بنباله"[1].

هجرتهم إلى تلمسان :

بعد سقوط مدينة ألبيرة في أيدي النصارى 891هـ أدرك أبو الحسن علي بن داود البلوي أنه لابد من الهجرة لضمان الحياة، واختاروا مدينة تلمسان مستقرا لهم، حيث انتهى الوجود الرسمي للمسلمين بالأندلس سنة 897هـ[2].

فالبيت البلوي كان يضم عدة أفلام أشهرهم: أبو الحسن علي أبو جعفر أحمد ، أخوه محمد وأخوهما أبي القاسم.

فأبو الحسن عاش بتلمسان واشتغل بالتدريس والتعليم و الإقراء ، وكانت له ارتباطات وصلات مع علماء تلمسان وبعض العلماء في بلاد المغرب خاصة بجاية وافريقية[3]، أما ابنه أحمد المكنى بأبي جعفر فقد ولد بآش موطن والده ثم هاجر إلى تلمسان معأبيه، قرأ على أبي القاسم محمد الفهري ، وأخذ عن ابراهيم الجابري الغرناطي وعن الاماماملواق، كما قرأ كذلك على والده القران العظيم برواية ورش عن نافع[4] وقرأ في تلمسان علىمحمد بن محمد مرزوق الكفيف في شوال 896، ومحمد بن عبد الله الجليل التنسي التلمساني، وأجازه في شعبان سنة 895و قرأ على محمد بن صعد الأندلسي التلمساني و أحمد بن محمد التلمساني[5]، فقد وصفه الشيخ مخلوف بالإمام الفقيه العالم الماهر الألمعي[6].

---

[1]- ابن الخطيب، معيارالاختيار في ذكر المعاهد والديار، دط ،القاهرة، مكتبة الثقافة 1423هـ، ص:112.

[2]- المقري، أزهار الرياض، ج1، ص: 149.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص: 149.

[4]- ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص 272.

[5]- التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص: 149.

[6]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ص: 272.

وكان أبو جعفر بن داود البلوي يشتغل بالتدريس شأن والده يدرس الفقه و اللغة والأدبوالعروض حيث ألف كتابا في العروض وهو " شرح الحزرجية" وكان لهذا الكتاب الأثرالثقافي الكبير في العصر الوسيط[1].

بعض شيوخ البيت البلوي:

_أبو عثمان سعيد العقباني قاضي الجماعة بتلمسان.

_محمد بن محمد مرزوق الكفيف.

_ القاضي أحمد بن محمد الحسني التلمساني.

_محمد بن عبد الله عبد الجليل التنسي صاحب "نظم الدر والعقبان".

_أبو عبد الله بن صعد بن الأنصاري التلمساني الأندلسي الأصل.

_أحمد بن محمد بن زكري التلمساني[2].

هجرتهم ونهايتهم:

بيت داود البلوي هو اخر بيت أندلسي يظهر في المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط، حيث نزلوا الى وهران سنة 897هـ وبقوافيها أكثر من شهر.

04- البيت اليعمري بنو سيد الناس :

اذا أردنا الحديث عن اسرة بنو سيد الناس فلابد أن نعرف نسبه الذي يرجعه أغلب المصادر الى يعمر الذي عرفه به فهو يعمر بن مالك بن بعقة بن حرب بن وهب بن حلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة الفرس بن معد بن عدنان.

[1]- ابن مخلوف ،المصدر السابق، ص: 272.

[2]- البلوي، ثبت البلوي، صفحات متفرقة .

كان بلدهم بمنهج بالشام ومنها ترحوا إلى بلدة بالأندلس وأول من ذكر ذلك أبو محمد بن حزم فقال في نسبهم "ومنهم الأبذيون بالأندلس وهم ناقلة من ناحية منبج"[1].

هو محمد أحمد بن عبد الله محمد بن يحي بن محمد بن محمد بن أبي القاسم سيد الناس –وغلبت عليه كنيته حتى صارت كالاسم ولربما كنى أبا الفضل–خلف بن يعمر بن مالك[2].

ابن سيد الناس : هو أبو بكر محمد بن أحمد عبد الله محمد بن يحي بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي وأصله من أبذه عمل "جيان" وهي وما ولاها دار اليعمريين بالأندلس، قرأ باشبيلية و لقي مشايخ من جملتهم والده الفقيه أبو العباس، وأبو محمد عبد الرحمن بن علي بن أحمد الزهري وأبو العباس أحمد بن محمد بن مقدام الرغيني وغيرهم[3]. وتجدر الإشارةإلى أن لقب "سيد الناس" شاع في المغرب مراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] ومن أهم الذين عرفوا بابن سيد الناس:

ـ أبو عيسى الشاطبي بن محمد بن سرحان ابن سيد الناس المعافري.

ـ عباد بن سرحان بن سيد الناس.

ـ أبو إسحاق بن محمد بن سيد الناس.

ـ أبو علي ابن سيد الناس وابنه يوسف بن عمر بن سيد الناس.

ـ الزواوي عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس[5].

---

[1]– محمد الراوندي، أبو الفتح اليعمري حياته واثاره وتحقيق أجوبته، دراسة وتحقيق محمد الراوندي، المملكة المغربية وزارة الأوقافوالشؤون الاسلامية، 1410هـ-1990م، ج1،ص ص16-17.

[2]– المصدر نفسه، ص:19.

[3]– الغبريني، عنوان الدراية، ص ص: 291-292.

[4]– محمد الراوندي، المرجع السابق، ص: 21.

[5]– نفسه، ص: 22.

كان مقام بني سيد الناس اليعمريين في اشبيلية على مدى قرن كامل تعاقب خلالها ثلاثة أجيال منهم ليرحل بعدها أبو بكر من اشبيلية متوجها إلى بجاية غير مار بشريش وقراها ولا بالعدوة[1].

و يقول ابن خلدون أن قصدهم كان إلى تونس أكثر لاستفحال قوة الدولة الحفصية بها، فلما رأى الحافظ أبوبكر اختلال أحوال الأندلس وقبح مصائرها و خفة ساكنها أجمع الرحلة عنها إلى ما كان بتونس من سابقته عنه هؤلاء الخلفاء الحفصيين فأجاز البحرونزل بتونس فتلقاه السلطان تكرمت وجعل إليه تدريس العلم بالمدرسة عند حمام الهواء التي أسستها أم الخلائف[2]. نزل أبو بطنجة وفتحت له جامعها الكبير وصدرته للإمامة والخطبة والتدريس، وأقبل عليه بنوها في مجلس الدرس يسمعون منه ويأخذون عنه ولكنه غادر طنجة كما غادر الأندلس ليملئ هو وعدد من شيوخ اشبيلية الذين يملؤون كتب التراجع للأعلام الأندلسيين في القرن السابع ببجاية[3].

وفي ترجمة الغبريني لابن الابار أنه بعد نزوحه من الأندلس، ذهب إلى بجاية ودرس بها وأقرأ وروى وسمع وصنف وألف، ثم استدعاه المستنصر الحفصي الى تونس الحضرة ليكتب إليه، حيث يبدو أن إقامته ببجاية كانت قصيرة.

وفي ترجمة الغبريني لابن الابار أنه بعد نزوحه من الأندلس ذهب إلى بجاية ودرس بعصا و أقرأ وروى وصنف وألف ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي[4].

[1]- محمد الراوندي، المرجع السابق، ص: 32.
[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 683.
[3]-محمد الراوندي، المرجع السابق، ص: 34.
[4]- المرجع نفسه، ص:37.

05- بيت ابن خلدون الاشبيليون: 647هـ-780هـ.

يعتبر بيت ابن خلدون من الأسر التي هاجرت من الأندلس نحو بلاد المغرب حيث كان لها في المجال الثقافي والسياسي حيث اختاروا بلاد المغرب مستقرا لهم، وبنو خلدون ينتسبون إلى الصحابي الجليل وائل بن حجر الكندي الحضرمي اليمني الذي تزعم قومه يوم وفد النبي صلى الله عليه وسلم في العاشر للهجرة المعروفة بعام الوفود فبسط له رداءه الشريف و أجلسه عليه وقال "اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة"[1].

وعرفوا ببنو خلدون لأن اسم جدهم الأول هو خالد بن عثمان واسمه هذا تحول من خالد إلى خلدون، والمؤرخ ابن خلدون لم يذكر بالضبط تاريخ دخولهم للأندلس ويدل على أن دخولهم كان مع بداية القرن الثالث للهجرة.

يقول المؤرخ ابن حيان ق5هـ/11م، ابن حيان ق5هـ/11م " بنو خلدون إلى الآن في اشبيلية نهايةالنباهة، ولم تزل أعلامهم بين رياسة سلطانية رياسة علمية[2].**دورهم في المغرب الأوسط السياسي والثقافي:**

أ-الدور السياسي:

توجه بنو خلدون من الأندلس نحو بلاد المغرب بعد سقوط اشبيلية 648هـ نتيجة للأوضاع المتدهورة التي عاشتها اشبيلية، حيث كانت مدينة سبتة وجهتهم الأولى ثم توجهوا إلى افريقية حيث وجدوا الترحيب والتكريم من طرف الأمير أبو زكرياء، ونظرا للعلاقات الوطيدة التي جمعت بين رؤساء الدولة والبيت الخلدوني و خاصة السن بن محمد الجد الثالث ، فقد تمتعوا بمكانة سامية تحت رعاية الأسرة المالكة الحفصية.

---

[1]- مفتاح خلفات سمية ، البيوتات العلمية الأندلسية في المغرب الزياني (7-8-9هـ/13-14-15م)مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط 1433-1434هـ2014-2012م، ص: 58.

[2]- المرجع نفسه، ص: 61.

وعند وصول الأمير أبو إسحاق إلى سدة الحكم حيث قام بتغييرات عديدة في نظام الحكم وذلك بإزاحته لمشيخة الموحدين من المناصب الرفيعة في الدولة واستبدالهم بالأندلسيين، فكان منهم أبو بكر بن خلدون الذي جعله صاحب الأشغال سنة 578هـ[1].

ولد الإخوة عبد الرحمن ويحيى ومحمدفي تونس ونشأوا في رعاية الأب أبي بكر بن محمد وتربوا في حضور المجالس العامة والخاصة حيث ترعرعوا على نزعتين :حب الرئاسة والمناصب والجاه،وحب العلم والنبوغ فيه من ناحية اخرى[2].

وكانت في عهدهم ثورة العرب على السلطان المريني مما عطل حلقات العلم، وغرق الأسطول المريني، وظهور الطاعون الجارف[3].

ب- الدور الثقافي:

لقد تعلم الإخوة الثلاثة صناعة العربية على والدهم، وفي المكتب قرءوا على محمد بن برزال الأنصاري البلنسي إمام القراءات لوقته، وعلى يده حفظوا القران الكريم واستظهروه عليه، و عرضوا قصيدتي الشاطبي "اللامية في القراءات"، " الرائية في الرسم القرآني" وكذا كتاب التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر القرطبي، وتفقهوا على يد عبد الله الجياني والقاضي ابن عبد السلام الهواري (ت748هـ) وكتاب "التسهيل" لابن مالك (ت 672هـ) في النحو، فقرءوا كتاب التهذيب للبرادعي "ومختصر المدونة"[4].

[1]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 436.

[2]- مفتاح خلفات، سمية ديلمي، المرجع السابق، ص: 61.

[3]- عرف هذا الطاعون باسم الطاعون الأسود وكانت له نتائج وخيمة جدا على وضع المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص: 62.

[4]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص ص: 36-39.

بالإضافة إلى مساهمة امام المالكية محمد السطي[1] في تنشيط الحركة الثقافية بتونس مع جملة من العلماء كمحمد الآبلي التلمساني[2]، وعبد المهيمن الحضرمي، حيث أخذ عبد الرحمن بن خلدون عن الآبلي المنطق وفنون الطب و الرياضيات ومنهم ابن رضوان الملغي الكاتب، وابني الامام أبو زيد وابو موسى[3]التلمسانيين ومحمد ابن الصباغ المكناسي ومحمد بن عبد النور الندرومي التلمساني وأحمد بن شعيب الفاسي[4]، وخاتمتهم العلامة الخطيب الذائع الصيت ابن مرزوق التلمساني[5].

رحلة عبد الرحمن بن خلدون وعمله في البلاط المريني: هاجر ابن خلدون من بجاية نحو تلمسان ومنها إلى فاس من أجل طلب العلم ولقاء المشايخ كقاضي الجماعة المقري التلمساني و الفقيه العلامة الشريف التلمساني ولعل أبرز شيء شجع ابن خلدون على التوجه إلى فاس هو دعوة السلطان المريني وكتابته لوالي بجاية من أجل إرساله إلى فاس سنة 755هـ حيث ولاه الكتابة والتوقيع[6].

يحيى ابن خلدون في البلاط المريني والزياني:

تولى يحي بن خلدون منصب الحجابة في السلطة المرينية، وظل حاجبا إلى غاية عودة أخيه عبد الرحمن الحجابة كما أنه تولى منصب الخطابة بالجامع الأعظم لبجاية حيث باشرا لتدريس فيه بعد انتهاءه من عمله اليومي وهو الحجابة كما عمل على جباية الخراج بنفسه في جبال بجاية[7].

[1]- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص: 14.
[2]- المصدر نفسه، ج1، ص: 17.
[3]- نفسه، نفس الجزء و الصفحة.
[4]- نفسه، نفس الجزء و الصفحة.
[5]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته، ص ص: 57- 61.
[6]- المصدر نفسه، ص ص: 67-72.
[7]- نفسه، ص 95-96

هذا وقد تعرض يحي بن خلدون إلى الاعتقال ببونة، لكن عبد الرحمن تمكن من الفرار لكن أهله تعرضوا لمصادرة ممتلكاتهم من طرف الأمير أبي العباس صاحب قسنطينة[1]، واستدعي عبد الرحمن إلى تلمسان من طرف سلطان تلمسان ليوليه الحجابة و العلامة وهي أعظم منصب في الدولة الزيانية وأرفع خططها، لكن عبد الرحمن رفض المنصب لينجح يحي بن خلدون في تقلده كتابة الإنشاء واستخدام السلطان لابنيه من بسكرة[2]، وليختار بعدها ابن خلدون مدرسة العباد ويلحق به أهله سنة 776هـ للتعليم والتدريس بها ليمكث بقلعة بني سلامة بعد ذلك ويتفرغ إلى التأليف و المطالعة و الدراسة[3].

مؤلفات البيت الخلدوني:

لقد عرف عن البيت الخلدوني أنه كان له عدة مؤلفات كان الحظ الوفير منها لعبد الرحمن بن خلدون فقد ألف كتبا في عدة أصناف:

الكتب التاريخية:

-شرح قصيدة ابن عبدون الاشبيلي.

-أقوال ابن خلدون في السكة والنقود.

-طبيعة العمران.

-تقيد في علم المنطق.

-التعريف بابن خلدون و رحلته غربا وشرقا.

[1]- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته، المصدر السابق، ص96

[2]-المصدر نفسه،ص: 96

[3]- نفسه، ص: 186

-العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

-المقدمة.

الكتب الدينية :

-لباب المحصل في أصول الحديث.

-شرح الرجز لابن الخطيب في أصول الفقه.

-شرح قصيدة البردة[1]

أما كتبه الصوفية فقد كتب كتابه شفاء السائل وتهذيب المسائل، أما أخوه يحي فقد ساهم هو الاخر في التأريخ للمغرب الأوسط من خلال كتابه " بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد".

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص: 507./خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 1396هـ-2006م، ج3 ،ص:330.

الفصل الثالث: أثر الهجرة الأندلسية على بلاد المغرب الأوسط.

المبحث الأول: من النـــاحية الثقـــافية.

المبحث الثانـي: من النـــاحية الحضارية.

المبحث الثالث: من الناحية الاجتماعية.

المبحث الرابع: من الناحية الاقتصادية.

الفصل الثالث: أثر الهجرة الأندلسية على بلاد المغرب الأوسط.

المبحث الأول: من الناحية الثقافية:

مما لا شك فيه أن كل نشاط ثقافي في أي مجتمع يتجسد من خلال الرقي الحضاري والازدهار الثقافي والنبوغ الفكري، ويشمل كل النواحي المعنوية والروحية والمعرفية وجميع أصناف النشاط الفكري[1]، وبناء على ذلك فإن الجالية الأندلسية كان لها تأثيرها على كل نشاط ثقافي وازدهار فكري وأدبي وفي عموم منطقة المغرب الإسلامي، وبالخصوص في حواضر المغرب الأوسط، وقد صرح ابن خلدون بذلك بقوله: "وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس وانتقل الكثير من أهلها إليهم[2]، ولقد وفد على حاضرة تلمسان عدد كبير من الأندلسيين المهاجرين وفيهم العلماء والأدباء والفنانون الذين وجدوا العناية والرعاية والترحاب من سلاطين بني زيان[3].

لقد تجلت التأثيرات الأندلسية الثقافية في حاضرة تلمسان الزيانية في عدة مجالات علمية ودينية وهذا بفضل شخصيات علمية وأدبية أندلسية وبيوتات من الأندلس ذات قدر كبير من الثقافة والثراء المعرفي، استقرت بتلمسان ولقيت عناية وحظوة عند سلاطين بني زيان.

1-في مجال العلوم الدينية: لقد شهدت حاضرة تلمسان الزيانية بروز جماعة كبيرة من الأندلسيين الذين تخصصوا في العلوم الدينية من فقه وأصول وعلوم القرآن وعلم الحديث وعلم التصوف، وقد كان لهم دور في إثراء الحياة العلمية والدينية بالتأليف والتدريس والاجتهاد الفقهي، ومنهم علماء بارزون وبيوتات أندلسية كل أفرادها توارثوا العلوم الدينية، ومنهم:

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص: 317.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص:225.

[3]- محمد بن رمضان شاوش، الغوثي بن دحمان، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، مج1، ص:316.

1- أبو مدين شعيب الإشبيلي الأندلسي: هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري[1]الأندلسي[2]، ألبسه الشيخ أبو عبد الله الدقاق خرقة الصوفية[3]، وهو المؤسس لمدرسة التصوف في المغرب الإسلامي ونزل ببجاية وأقام بها، وبازدياد عدد مرتاديه زادت شهرته حتى خاف الأمير الموحدي يعقوب المنصور، فطلب بالمجيء به إلى مراكش[4] حتى يكون تحت مراقبته وسيطرته ولما وصل أبو مدين إلى تلمسان، نزل بقرية يطلق عليها اسم العباد، فأصابه المرض وتوفي بها سنة 594هـ حتى صار قبره في تلمسان مقصدا للزوار من بلاد المشرق والأندلس[5].

ورغم أن أبا مدين شعيب لم يسكن تلمسان ومات قبل تأسيس دولة بني زيان، إلا أن أثره في تأسيس علم التصوف وتطويره ونشره امتد إلى ما بعد وفاته في ربوع المغرب الإسلامي وبالخصوص في حاضرة تلمسان.

2-أبو بكر بن سعادة الإشبيلي: هو محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي[6]، من أهل إشبيلية وانتقل إلى تلمسان ونزل بها، أخذ علم القراءات عن أبي حسن شريح وأبي العباس بن حرب وغيرهم[7].

وصفه يحي بن خلدون بأنه كان: "مجود للقرآن، ضابطا محدثا، نقادا على الرواية"، ووافته المنية في شهر رجب سنة 600هـ[8].

---

[1]-الغبريني، المصدر السابق، ص: 22.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 125.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص: 125.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 28.

[5]- يحي بن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص: 126.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص: 105.

[7]- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص.86.

[8]- يحي بن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص: 106.

أما بالنسبة لبجاية فإنه يبدوا لأول وهلة أن الحضور الأندلسي في المشهد الثقافي خلال القرن 7هـ يطفوا بقوته على النواحي الحضارية الأخرى وكلما تتبع الباحث دور الجالية الأندلسية بحاضرة بجاية الحفصية سيتأكد أن الحياة الثقافية كانت زاهرة وثرية بعدد كبير من العلماء والطبقة المثقفة التي كانت من الطراز الرفيع والمؤثر.

1-في المجال الديني: ويتضمن كل ما يتعلق بالعلوم الدينية نقلا أو عقلا رواية أو دراية، كالفقه وأصول الفقه وأصول الدين وعلم القراءات.

علم القراءات: وهو صنف من أصناف العلوم النقلية والمراد به علم تعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع إسناد كل وجه لناقله[1].

وترجع أهمية هذا العلم إلى كونه يدور حول حفظ القرآن الكريم من التحريف والتفسير، ولأنه يتضمن عدة علوم نافعة كعلم القراء والترجمة لهم، والعلم برسم المصحف، والصورة الخطية التي وافق عليها عثمان رضي الله عنه وكتب بها المصاحف، وعلم توجيه القراءات والعلم بها[2].

وهكذا كان للأندلسيين دور كبير في تعميق علم القراءات ونشره وإثراءه في بلادهم ومن هنا، فإن للجالية الأندلسية المستوطنة بحاضرة بجاية الحفصية إسهامها الأكبر في هذا العلم الجليل تأليفا وتدريسا.

من هؤلاء الأندلسيين العارفين بعلم القراءات والذين أفادوا بعلمهم أهل بجاية ومن حولها المدن المغربية محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي ويكنى بأبي عبد الله أصله من مدينة شاطبة ولد بها سنة 614هـ هاجر إلى المغرب الأوسط واستوطن حاضرة بجاية وكان له اتصال بعدد من كبار العلماء في الأندلس والمغرب أمثال أبى بكر بن محرز والشيخ أبي عبد الله القضاعي، كما

[1]- محمد عباس الباز، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص: 39.

[2]- السيد رزق الطويل، مدخل في علم القراءات، المكتبة الفيصلية، ط1، 1985م، ص ص:41-42.

أنشد لعدد من الشخصيات كالألبيري، وأبو بكر سيد الناس، وأبي الحسن ابن جبير[1]، كما وصفه من ترجم له بأنه "المحدث الخطيب بجامع بجاية مدة ثلاثين سنة لم تفته فيها جمعة".[2]

يقول الغبريني: "وبأنه الشيخ الفقيه...الأستاذ المقرئ الصالح...روى ودرى واستجاز وأجاز، وروى وأقرأ واستمتع واستنفع به خلق كثير"[3]، وكان واسع المعرفة بعلم القراءات موصوف بالإتقان فيها والإجادة وله رواية للحديث متسعة وعالية، توفي سنة 699هـ.[4]

علوم الحديث: المراد بها: إسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه هي علوم الحديث وقد صنفها الغبريني ضمن علوم الرواية[5].لقد زخرت حاضرة بجاية في العهد الحفصي بعدد من علماء الحديث الكبار الموصوفين بالإتقان والإجادة منهم محمد بن أحمد بن عبد الله الإشبيلي، ويعرف بابن سيد الناس ويكنى أبا بكر الحافظ لعلوم الحديث والعارف برجاله وأسماءهم وتاريخهم، توفي سنة659هـ/1260م[6].

اللافت للانتباه أن حاضرة بجاية خلال القرن السادس والسابع الهجريين قد كانت مركزا انطلق منه مشائخ التصوف لنشره وبثه روحيا وفكريا وسلوكيا بكل ما يشتمل عليه من تيارات روحية وفلسفية التي وصل تأثيرها غربا وشرقا.

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص ص: 79-80.

[2]- أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني ابن جبير، الوفيات، تح: عادل نويهض، منشورات الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م، ص: 335.

[3]-الغبريني، المصدر السابق، 79.

[4]-ابن القنفذ ، المصدر السابق، ص: 355.

[5]-الغبريني، المصدر السابق، 360.

[6]-محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص: 194.

وتماشيا مع ما تقدم، كانت حاضرة بجاية الموحدية مقر شيخ مشائخ التصوف وصاحب مدرسة التصوف السني أبو مدين شعيب، الذي برز في القرن السادس هجري، وقد استند إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي كمرجعية معرفية وفكرية.

بذلك صارت مدينة بجاية قاعدة التصوف الأولى والأهم بتواجد شخصية أبي مدين شعيب فيها ولا شك أن الحركة الصوفية السنية قد ترسخت في هذه المدينة في العهد الحفصي .

ويعد عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي المكنى بأبي الحسن من المتصوفة الزاهدين المتعبدين العارفين بالفقه وأصوله، وأصله من شاطبة ببلاد الأندلس، وكان من كبار العلماء الفقهاء المجتهدين والعباد المعروفين بالزهد والورع متبعا للسلف الصالح ومن مصنفاته "اختصار حلية الأولياء لأبي نعيم، توفي في شهر جمادى الأولى سنة642هـ[1].

2-في العلوم العقلية: شخصية محمد بن إبراهيم الآبلي، ولعل المكانة العلمية الكبيرة التي يشغلها هذا العالم الأندلسي التلمساني ستظهر أكثر من خلال هذه الفقرة التعريفية به.

محمد بن إبراهيم الآبلي: هو محمد بن إبراهيم الآبلي، يكنى بأبي عبد الله، ولد بتلمسان سنة 682هـ، وعائلته من الجالية الأندلسية التي وفدت إلى حاضرة تلمسان واستوطنتها وكان أفرادها يخدمون في الجيش الزياني جنودا وضباطا وقادة عسكريين، إلا أن أحد أفراد هذه الأسرة شذ عن هذه القاعدة، وهو محمد بن إبراهيم الآبلي حيث غير مساره من حياة الجندية والوظيفة السلطانية إلى ميدان العلم طلبا وتأثيرا وتطويرا، وسبب هذا التغير يعود إلى نشأته في أسرة جده لأمه قاضي تلمسان محمد بن غليون حيث جعله بفضل طلب العلم والتفوق فيه بدل أن يعمل في نفس وظائف أسرته السياسية.[2]

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 193-194.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 120.

وقد أكد ابن خلدون الدور الذي قام به في نشر العلوم العقلية في ربوع المغرب[1] بقوله: "وهو من خلال ذلك يعلم العلوم العقلية، ويبثها بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصارها، وألحق الأصاغر بالأكابر في تعليمه.

أما في بجاية في العهد الحفصي فشمل التأثير الأندلسي جميع فروع المعرفة العلمية فقد برع في الطب أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي، المعروف بابن اندراس[2]، أصله من ملقة وفد إلى بجاية واستقر بها، وله معرفة بعلم العربية وعلم أصول الدين، إلا أن العلم الذي برع فيه أكثر هو علم الطب حيث توسع فيه، وكان يقوم بتدريسه في بجاية[3]، وذكر الغبريني أنه كان من جملة تلاميذه وقرأ عليه أرجوزة ابن سينا وكليات القانون قراءة فيها اتقان وجودة، وكان تخصصه طب الولاة في بجاية وقد انتقل إلى العاصمة تونس باستدعاء من السلطان الحفصي المستنصر بعد ما بلغته مهارته في الطب، وجعله من الأطباء الخاصين به وضمه إلى مجلسه[4].

يبدو أن بجاية حفلت بمجموعة من المؤرخين الأندلسيين، مما يدل على أهمية هذه المدينة كمركز جامع للمدارس العلمية في القرن السابع هجري، ومنها المكتبة التاريخية الأندلسية. ومن مؤرخي الأندلس عبد الحق الأزدي الإشبيلي ويكنى أبى محمد[5]، ويبدوا أنه من المؤرخين الأندلسيين الذين دونوا في التاريخ الإسلامي على الخصوص وله تلخيص لتاريخ الطبري ، وكتاب يتعلق بتاريخ قبيلة صنهاجة بمدينة بجاية وإفريقية سماه "التبن المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية"[6].

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص: 53.

[2]- اندراس: نسبة إلى أحد أشهر أطباء المستنصر، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص: 85.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص: 85.

[4]- المصدر نفسه، ص:86.

[5]- نفسه، ص:41.

[6]- نفسه، ص: 43.

كما استقر ببجاية الحفصية عدد من أعلام الأندلس لهم تنوع في المعارف وتحصيل أنواع العلوم والفنون، فقد أورد الغبريني تراجم لهؤلاء الأندلسيين وقد ذكر براعتهم في نظم الشعر وفصاحته في الخطابة، ومهارتهم في النثر ومعرفتهم باللغة والنحو.

ومن الذين كانوا أعلاما للأدب والشعر والكتابة في عصرهم وشهد لهم العلماء بالنبوغ الأدبي، نستحضر أدبيين وهما ابن عميرة المخزومي، وابن الأبار الأندلسي[1].

وكان ابن عميرة المخزومي متمكنا من علم الحديث والإكثار في روايته بإتقان وضبط،وكان راسخ القدم متحكما في علم أصول الفقه، لكنه اشتهر ببراعته الأدبية وأدبه الرفيع الأنيق.

[1]-المصدر السابق، ص:309.

المبحث الثاني: من الناحية الحضارية:

إن التأثير الأندلسي في المجال الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي والأوسط على الخصوص ظهر في العهد المرابطي والموحدي، وقد استفاد المرابطون من التقاليد المعمارية الأندلسية واقتبسوا أنظمتها الفنية المعمارية، وهذا تجلى في تخطيط بيوت الصلاة في المساجد التي شيدوها بالمغرب الأوسط، مثل جامع الجزائر وجامع تلمسان[1].

أما في عهد الدولة الموحدية ظهر تأثير الحضارة الأندلسية واضحا على المباني والمنشآت[2]، كما ظهرت بصمات الهندسيين والفنيين الأندلسيين بمدينة تلمسان في الناحية العمرانية منذ العهد المرابطي والموحدي[3].

لم تتوقف التأثيرات الفنية الأندلسية عن التدفق على المغرب الأوسط فقد كانت تربط ميناء وهران بميناء ألميرية روابط وثيقة، ولقد طلب أبو حو الأول(707-718هـ)، وابنه أبو تاشفين(718-737هـ)، من السلطات أبي الوليد وإسماعيل سلطان غرناطة(713-725هـ)، أن يبعث إليه عدد من صناع الأندلس وفنانيها لبناء القصور بحاضرة تلمسان وشرع هؤلاء في بناء هذه القصور في عهد أبي حمو وقد أمهرت تلمسان بالقصور والدور والحدائق والجنات، نذكر منها دار الملك، ودار السرور، ودار أبي فهر[4].

[1]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص: 168.

[2]- عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، شارع بور سعيد، مصر، ط1، 1997م، ص: 203.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 174.

[4]- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1998م، ص: 60.

فأصبحت تلمسان بناياتها وحدائقها أشبه بالتي بإشبيلية وغرناطة في روائعها الفنية وطبيعتها الفتانة، فقد كان بنو زيان مولعين بالتعمير والتشكيل والاختراع[1].

فكانت أرض قصر السلطان تتميز عن غيره من القصور والدور بشكله ومحتواه، حيث كان في معظمه مبلط بالزليج الملون وتتخلل القصر أحواض من الزهور والأشجار المثمرة والنافورات وهو الشأن في القصور السلطانية بفاس وغرناطة وتونس، فهو معلم من المعالم العمرانية الزيانية الرائعة المتأثرة مما لاشك فيه بالهندسة المعمارية[2].

إن أوجه التشابه بين الحضارة الأندلسية والزيانية في فن العمران هو الزخرفة الموجودة في المساجد التلمسانية الزيانية وعلى سبيل المثال نجد المسجد الكبير بتلمسان يشبه جامع قرطبة في بعض جوانبه لا سيما في المحراب والنقوش التي تعلو قوسه وكذا الكتابات والزخارف هي الأخرى متشابهة وحتى الزيادات التي تضاف من فترة إلى أخرى هي شبيهة لما جاء في جامع قرطبة[3].

أما بالنسبة لجامع سيدي بومدين الذي يتشابه شكله الزخرفي مع أحد الأشكال الموجودة في قصر إشبيلية، ونجد كذلك في جامع المشور الزياني لوحات مزخرفة جانبية عليها الصيغة المعروفة "اليمن والإقبال" وهذه العبارة مألوفة كثيرا في الزخارف الكتابية الأندلسية وهذا يظهر بجلاء التقارب الفني المعماري بين المعالم الأثرية التلمسانية والأندلسية[4].

حيث أن مسجد سيدي بلحسن وأولاد الإمام يوجد بها نماذج رائعة من الخط الكوفي المزهر الذي تتزين به القصور الأندلسية كقصر الحمراء[5].

---

[1]- بوثلجة فضيلة ومكي جميلة، الاشعاع الحضاري والفكري للأندلسيين في المغرب الأوسط خلال الفترتين(ق07-09هـ/13-15م) ببجاية وتلمسان نموذجا، جامعة ابن خلدون، تيارت، كلية العوم الانسانية والاجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، 2015-2016م، ص: 108.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، 115.

[3]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص: 59-60.

[4]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص: 170.

[5]-المرجع نفسه، ص: 170.

الظاهر من الزخرفة في المساجد أنها لا ترى الفسيفساء على الجدران إلا في محراب مسجد سيدي البناء وإطاره أي على جانبيه الأيمن والأيسر أما على الجدران بما يلي ذلك فإنه مغشي بطبقة من الجبس المنحوت ذي الأشكال الهندسية أو الزهرية أو الخطية الشبيهة بالتخاريم وهذه الطبقة تمتد إلى السقف المحمول على سوار من الحجارة أو أعمدة من المرمر تعلوها قناطر مقوسة تغشيها نفس الزخرفة الجبسية وقد يكون السقف مصنوعا من الأرز ومزخرف بحفريات ذات أشكال متنوعة وأحسن مثال الزخرفة الجبسية على الجدران والسقف جامع سيدي أبو مدين وأحسن مثال زخرفة السقوف المصنوعة من الأرز بمسجد أبي الحسن وجامع سيدي الحلوي، ومدرسة العباد[1].

أما بالنسبة لتأثير الأندلسيين الحضاري ولا سيما العمراني في بجاية الحفصية فلم يكن كبيرا بالقدر الذي عرفته تلمسان الزيانية، وقد تكون ملامح الحضور العمراني قد ظهر في العهد الحمادي فبجاية حسب البكري لم تكن سوى ميناء صغير محتشم في القرن الحادي عشر سكنه الأندلسيون حيث أنه في سنة 468هـ وبعد أن اختار الأمير الحمادي مدينة الناصرية عاصمة له، اتسع عمرانها، واستمرت أهميتها طوال حكم الموحدين والحفصيين إلى أن احتلها الإسبان وخربوها[2].

لقد أقام الحماديون قصورا كقصر أوميمون الواقعة في الناحية الشمالية من المدينة وقصر آخر في الجهة الغربية، وهكذا فإن القصور الحمادية تدل على عناية الملوك الحماديين بالعمارة وتشييد المباني.

من الناحية الفنية فمما لا شك فيه أن الأندلسيين الذين استوطنوا تلمسان وبجاية أو غيرها من المدن المغربية، فقد نقلوا حبهم للغناء والموسيقى، فالمعروف أن بلاد الأندلس كان موطنا

[1]- الحاج بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011/03م، ص: 136.

[2]-بوثلجة فضيلة، المرجع السابق، ص: 110.

لزرياب[1]، وقد أورد ابن خلدون في مقدمته أنه كان "للموصلين غلام اسمه زرياب، أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه إلى المغرب، غيرة به، فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل، أمير الأندلس فبالغ في تكرميه، وركب للقائه، وأسنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات، وأحله من دولته وندماته بمكان، ومن البديهي أن ينتج عن هذا السياق الثقافي تطور فن الغناء وانتشاره بين طبقات المجتمع، مما جعل بلاد الأندلس مشهورة بصناعة الغناء وانتشاره بين طبقات المجتمع، مما جعل بلاد الأندلس مشهورة بصناعة الغناء والعناية به، وخصوصا في عصر ملوك الطوائف وبالأخص في إمارة اشبيلية"[2].

يبدو أن التأثير الفني للأندلسيين في بلاد المغرب قد ظهر جليا في العهد الموحدي حيث كان في صحبة الأمراء الموحدين بالمغرب أحد كبار العارفين بالموسيقى والغناء الأندلسي وهو أبو بكر بن باجة الذي أشار إليه كل من ترجم له من المؤرخين ولعل تواجد مثل هذه الشخصيات الفنية الرائدة قد ساهم في التأثير على الموسيقى المغربية وبالتحديد المغرب الأوسط وطبعها بالطابع الأندلسي[3].

كان للموسيقى الأندلسية الغرناطية أثر كبير في تطور الموسيقى في البلاد الإسلامية[4]،وقد عرف العلامة ابن خلدون للموسيقى والغناء، هذان الفنان المتلازمان بقوله: "هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها توقيعها

[1]-زرياب لقب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله وشبه بطائر أسود غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا، وأصل زرياب عراقي وكان مولى المهدي العباسي، ينظر: عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1985م، ص: 150.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص:130.

[3]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص:167.

[4]- أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تح: أحمد مختار العبادي، ص: 132.

عند قطعة فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات"[1].

لقد حافظت الموسيقى الأندلسية إلى حد كبير على طابعها الأصلي في المغرب دون أن تتأثر بالطابع المحلي كزيادة ميزان خامس للموازين الأندلسية الأربعة عرف بالمدرج لأنه مدرج بين الموازين وهو خاص بالآلة الإشبيلية حيث لا يوجد في المالوف التونسي ولا في الغرناطي الجزائري[2].

كان تميز الطرب الغرناطي الذي حمله الموريسكيون والذي كان يطلق عليه نوبة غرناطة "بطغيان النفس الحزين والإيقاع البطيء، فقدت الموسيقى الغرناطية مجموعة من النوبات الموسيقية حيث لم يبق من أصل أربعة وعشرين نوبة سوى إحدى عشر نوبة"[3].

أما السياق في حديثنا عن تلمسان ومدى تأثرها بالموسيقى الأندلسية فنرى أن أهل تلمسان كانوا يتعاطون هذا الفن ويحسنون العزف على جميع آلات الطرب التي كانت مستعملة عند العرب بالأندلس، ويغنون الموشحات[4] والأزجال وكذلك الحوزي والعروبي وقصائد المدح، ويؤلفون أجواقا يتركب كل جوق فيها من ستة أشخاص على الأقل ويجب أن تتوفر فيه المهارة لأداء هذا الفن ومعرفة تامة بجميع أنواع النوب والذي يعزف على الرباب[5].

وقد انتشر فن الموشحات وشارك فيه بعض الشعراء حيث يعتبر الشاعر الطيب الوشاح التلاليسي أبرزهم، الذي أورد له يحي بن خلدون موشحتين في مدح ولي نعمته السلطان أبو حمو

---

[1]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص: 130.

[2]- أحمد الكامون هاشم الصقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ط1، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المغرب، 2010، ص: 172.

[3]-المرجع نفسه، ص: 174.

[4]- الموشح لغة: هو من الفعل وشح بمعنى لبس، وقد استعيرت هذه الكلمة من الوشاح الذي تلبسه المرأة بين عاتقها وكشحها لما فيه من رونق وزخرف وجمال، فالموشح إذن سمي بذلك لأن أقفاله وأبياته وخرجته كالوشاح للموشحة بخلاف الشعر التقليدي الذي يأتي على طراز واحد، ينظر: محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ط1، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص: 48.

[5]- الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص: 140.

موسى الثاني، نظم الموشحة الأولى سنة 762هـ-1361م في المجلس المولدي الذي انعقد تحت رئاسة السلطان في قصر المشور قال فيها:

يَا وَيْحَ صَبٍّ بَانَ عَنْهُ الشَبَابُ وَأَوْدَعَ لَهِيبَ وِجْدٍ عِنْدَمَا وَدَعُوا

أَوْدَى بِهِ الوِجْدُ وَفُرْطُ الجَوَى

وَمَدَّ مِنْهُ السَبَبَ كُلَ القِوَى

وَلَا بِهِ مِـمَّـا اِعْتَـــــرَاهُ دَوَا[1]".

وقد كانت الموشحات تنشد على الآلات الموسيقية في المواسم الدينية وفي الحفلات والسهرات المنزلية وكانت تعزف على أكثر من آلة كالعود والرباب والقانون والكامنجا والدف والزرنة والغايطة والطبل والدربوكة وغيرها.

وقد شاع فن الموسيقى ببجاية وجعل منها مدينة تشبه إشبيلية في شغفها بالموسيقى وميلها للطرب ولعل من أجل مظاهر الطابع الأندلسي في عهد الحفصيين هو خلق سكانها ولطف مشاعرهم ورقة شعورهم وميولهم الفطري في حب الموسيقى وتذوقهم لها حيث قال حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا "إن البجائيين أناس طيبون ميالون إلى المرح والموسيقى لا سيما منهم الأمراء"[2].

امتاز الأندلسيون بالخط الذي يسعى باسمهم وعرف بالخط الأندلسي والذي اشتهر في العالم الإسلامي وأصبح نموذجا بين الخطوط العربية، وقد عرفه ابن خلدون "الخط هو عداد

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 466.

[2]- بوثلجة فضيلة ومكي جميلة، المرجع السابق، ص: 102.

الصناعة الانسانية وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان"[1].

فقد ازدهر في تلمسان في عهد ما نسخ المصاحف وأمهات الكتب الدينية المشرقية والمغربية فبرز فن الخط والتجليد والتوريق والتزويق وتهذيب العناوين وتلوين بعض حروفها وتجميل أشكالها وإخراجها في ثوب جميل يليق بمضامينها، وقد تنافس الفقهاء والخطاطون والطلبة وحتى بعض السلاطين الزيانيين على نسخ المصاحف والكتب[2]، فكان أبو عبد الله محمد الأكبر ابن مرزوق يشتغل بالقراءة وعلوم القرآن فكان مصحفيا يكتب المصاحف وهي ظاهرة منتشرة بين الأوساط المتعلمة بمدينة تلمسان بحيث كانوا يتنافسون في كتابتها في عهد ابن مرزوق الخطيب (ق8هـ/14م) على طريقة أهل الأندلس المشهورين بحسن الخط وضبط الكتابة[3]، ويتقنون في ضبطها فكان خطهم يشبه خط الغطوسيات[4]، فكانت هذه الخطوط تتميز بحسن فائق الجمال[5].

وهذا دليل على أن الناسخين والفقهاء التلمسانيين قد تأثروا بالخط الأندلسي خلال العهد الزياني لاحتكاكهم بالأندلس وبالمهاجرين الأندلسيين.

وقد اشتهرت حاضرة تلمسان الزيانية بعدد من الخطاطين والنساخين المجيدين ومنهم الأديب الشاعر الأندلسي الغرناطي الوادي آش، الذي استوطن تلمسان وكان من أكبر النساخين بها حيث أنه اتخذ النسخ حرفة وكان يكثر منه، وكان بارعا فيه وله في خزائن تلمسان بخطه نحو المائة سفر وفي فاس نحو ثمانمائة، وقد خط بخطه نحو عشرين نسخة من توضيح خليل[6].

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص: 119.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص: 336.

[3]- الرجع نفسه، ص: 337.

[4]- الغطوسيات: نسبة إلى عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج بن سهل الأنصاري من أهل بلنسية بالأندلس، يكنى بأبي محمد، ويعرف بابن غطوس، اشتهر بإتقان وضبط المصاحف مع براعة الخط، ينظر: المرجع نفسه، ص: 337.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص: 151.

[6]- أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص: 308.

لعل تطور الخط ببجاية يعود إلى تواجد العديد من المهرة في الخط الأندلسي بالحواضر المغربية وبالأخص بحاضرة الحفصيين ببجاية التي هجر إليها أحد المشاهير في فن الخط وهو عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر بن عمر الأنصاري المكنى بأبي محمد وكان بارعا في الخط[1].

إلى حد نعته من طرف الغبريني بأنه كان ابن مقلة زمانه له خطوط جميلة، وهو في كل واحد منها ابن مقلة زمانه، كان يكتب الشرقي والغربي على فنون من ريحاني وديواني وغير ذلك من أنواعه، ومن أبدع حاله في خطه إذ بدأ بنوع حكم عليه إلى آخره حتى لا يوجد فيه حرف واحد من غيره، ولقد رأيت كثيرا ممن يشارك بين الخطين فيختلط كتبه، وهذا يؤكد على أن بجاية في العهد الحفصي كانت تضم مختلف المدارس الأندلسية سواء في الجانب العلمي أو الروحي أو الفني[2].

[1]- بوثلجة- مكي، المرجع السابق، ص: 107.

[2]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص: 213.

المبحث الثالث: من الناحية الاجتماعية:

1- الاحتفالات والغناء:

أ- الاحتفـالات :

لقد كان لسكان بلاد المغرب الأوسط عدة احتفالات كانت تقام لمناسبات مختلفة، كان يشترك فيها أبناء المنطقة للتعبير عن مشاعرهم وعواطفهم نحوها، ويمكن تقسيم هذه الاحتفالات على حسب دوافعها وبواعثها إلى أنواع مختلفة [1] هي :

1_ الاحتفالات العسكرية: التي كان يخرج فيها الجند ويقومون باستعراضات عسكرية، حيث كان يخرجون وهم يحملون الرايات والأعلام الكبيرة[2].

2_ الاحتفالات الدينية :التي ارتبطت بالمناسبات الدينية كعيد الأضحى وعيد لفطر وعاشوراء والمولد النبوي الشريف الذي يرجع الاحتفال به إلى أبي العباس أحمد الغرفي السبتي صاحب الدر المنظم في مولد النبي المعظم وغيرها [3].

لقد حرص الأندلسيون على الاحتفال بالعديد من المناسبات والأعياد الدينية مثل حلول شهر رمضان فيحتفلون وذلك بخروج الفقهاء والأئمة لاستطلاع الهلال، ويكثرون من قراءة القران في المساجد حتى أن ليلة السابع والعشرين خصها الأندلسيون بالتعظيم واعتبروها هي ليلة القدر، كما حافظوا على الاحتفال بعاشوراء والمولد النبوي الشريف ، على الصعيد الرسمي والشعـــبي بمواكـــب الشموع ، كما اهتموا بكتابة التآليف حول هذه المناسبة العظيمة، رغم أن بعض علماء المشرق عَدُّوا الاحتفال بها بدعة، إلا أن الأندلسيين اهتموا به ليكون عيدا موازياً لعيد المسيح،فقلدهم في ذلك أهل سبتة وهكذا حتى عمت ظاهرة الاحتفال بالمولد الشريف كل بلاد المغرب، فكانوا يحيون يوم وشهر مولده صلى الله عليه وسلم بترديد الأناشيد والقصائد والمدائح الدينية التي مازالت معروفة إلى اليوم [4].

---

[1]- حسين على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، ط1 ، مكتبة الخانجي ،مصر ،1980م ،ص 418.

[2]- ابن السماك العاملي، المصدر السابق، ص 91.

[3]- ابن الحاج النميري : فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، در، وتع: محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990م، ص: 117.

[4]- محمد عادل عبد العزيز ، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص: 234-237.

كذلك احتفل الأندلسيون بعيد النيروز (عيد الربيع) وعيد يناير (عيد رأس السنة الميلادية) الذي هو من الأعياد الكـبرى فـــي الأندلس، كما شارك الأندلسيون النصارى في أعيادهم مثل عيد ميلاد المسيح عليه السلام[1]، وعيد العنصرة أو المهرجان حيث كانوا يحتفلون به يوم 24 يونيو الذي مازال الاحتفال به الى اليوم في المغرب واسبانيا[2]، ومن العادات التي حملها الأندلسيون ورسخوها في بلاد المغرب الأوسط صورة الكف التي تعتبر من المعتقدات المسيحية،لأن الكف كف مريم البتول والتي يعتقدون أنها تكف وتبعد الأرواح الشريرة وتطرد كل شيطان[3] ولقد أخذ أهل المغرب الأوسط عنهم هذه العادة فأصبحوا يعلقون هذه الكف على أبواب المنازل والدكاكين اعتقادا منهم إنها تحمي من العين.

3_ احتفالات متنوعة: كالختان وأعراس الزفاف والعقيقة حيث كانوا يحتفلون بميلاد أطفالهم، فيعدون العقيقة، وهي وليمة تذبح فيها الخراف ويصنعون العصيدة هي نوع من أنواع الحلوى عرف بها المغاربة ويطعم من ذلك الفقراء و الأقارب و أسرة المولود، احتفالا بقص أول خصلة من شعر الطفل في اليوم السابع لولادته[4].

ب- الغناء:

فن الغناء نشأ مع البشر منذ طفولتهم وتدرج في درجات العلو ودرجات الهبوط بحسب ارتقاء الأمم، فقد جبلت سائر الأمم من جميع الطبقات على حب الألحان حسب عاداتهم واصطلاح بلادهم، ولكل امة الحان ونغمات يستلذونها ويفرحون بها لا يستلذها غيرهم ولا يفرح بها سواهم ، إلا بتعود سماعها أو معرفة مواقع الطرب في أي لحن كان [5].

لقد عني أهل المغرب بالمحافظة على أصول الطرب الأندلسي، بل أن أثرهم كان مباشرا في تشجيع ونشر هذا النوع من الموسيقي العربية مع تنميته وتحسينه، حتى شاعت بين أوساط سكان بلاد المغرب أغاني اشبيلية وغرناطية بعد أن وردت موجات من المهاجرين الأندلسيين، هؤلاء كانوا

---

[1]- كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص: 46.

[2]- أبي يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، أمثال العوام في الأندلس ، تح، وشر، وتق: محمد بن شريفة، القسم الثاني ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس، فاس،1975م، ص: 267 .

[3]- عفاف بلقاضي، المرجع السابق ص: 55 .

[4]- كمال السيد أبو مصطفى،جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ، 1996 م ،ص:45- 46 .

[5]- محمد كرد علي : القديم والحديث، المطبعة الرحمانية ، مصر ، 1343 هـ / 1925 م ، ص: 208- 209 .

مولعين بهذا الفن الذي غرس حبه زرياب في قلوب أجدادهم، ولم تقف مهارة زرياب عند جودة الغناء والحذاقة في العزف، بل تخطى ذلك إلى تحسين صناعة العود_كما سبق وان ذكرنا في فصل العلم _ فهاجر من الأندلس ما يقرب نصف مليون من أهلها إلى بلاد المغرب واستقروا بها ونقلوا إليها ما كان بالأندلس من أنواع الموسيقى الموسيقي ، إلى أن أصبحت هذه البلاد وارثة لهذه الفنون ، خاصة بعد هجرة الأندلسيين الأخيرة بعد سقوط غرناطة فجلبوا الذين ما بقي من أغانيهم وألحانهم الشعبية.

2-الملابس والتزيين:

لقد أدخل الأندلسيون ألبسة جديدة منها ما بقي محافظا على أسمائها ومنها من تغير بسبب طول الفترة لكن بقيت محافظة على شكلها.

أ- الملابس:

1_ الأحزمة:هناك عدة أنواع من الأحزمة التي تضعها النساء و الرجال منها :

أ _ الكرزية: هو نوع من الأحزمة استعمل في بلاد الأندلس أواخر العصر الوسيط وعرف المصطلح في القواميس الاسبانية بـ Karziyya- karazi وهناك من يقول أن أصلها لاتيني من لفظة corrigia أما بالفرنسية فهي cors, كما يرى بعض المؤرخين أن أصل الكلمة هو مغربي انتقل إلى الأندلس أيام الفتوحات وهجرات البربر إلى الأندلس، ثم حمل مسلمي الأندلسهذا النوع من الأحزمة إلى المغرب بعد هجرتهم، وقد استعملت هذه الأحزمة نساء قبائل جبالة [1] .

ب _ المضمة: من فعل ضم وهي حزام لشد اللباس إلى الجسم عرف في الأندلس باسم آخر فلفظة المضمة هي لفظة مغربية.

2 _ ما يوضع على الرأس :هناك عدة أنواع من القبعات والمناديل نذكر منها :

أ _ البنيقة: مازال هذا اللفظ شائعاً بشمال المغرب والجزائر واستعمل كذلك بالأندلس، دخل بلاد المغرب من طرف الفئات والعائلات الغنية حيث كانت تضعه النساء على رؤوسهن لجمع شعورهن[2].

[1]- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 _ 17 م، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص:295.

[2]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 295 .

ب _ الشاشية: هي غطاء أندلسي للرأس، ويلاحظ أنها شائعة في تونس أكثر، فهم من استعمل القلنسوة الحمراء [1] إلى اليوم ، وقد كان يضعها العلماء والتجار والطلبة كما توجد شاشية خاصة يضعها اليهود وهي سوداء اللون.

3_ ألبسة أخرى:

أ_ السلهام: هو ما يعرف حاليا بالبرنوس الذي بقي مستعملا حتى الآن خاصة في الجزائر, وقد اختص السلاطين المرينيين بلبس البرنس الأبيض الرفيع ، أما العلماء وأهل الصلاح فقد كانوا يلبسون البرانس الملونة ،كما كان يسمح لهم بلبس البرانيس البيضاء أحيانا[2].

ب_ البدعية: وهي ما يعرف بالصدرية أدخلها مسلمي الأندلس إلى بلاد المغرب، وإذا حاولنا البحث عن أصل الكلمة نجد أنها مأخوذة من فعل أبدع وهي تعني لباس جديد لم يكن معروف من قبل لكن بعد دخولها إلى بلاد المغرب أدخلت عليها بعض التعديلات[3].

وعموما نجد أن ملابس الرجال هي : الجبة، الملف، والدراعة، والسروال، والغفارة، والحشو وفي الشتاء كان يلبس ثوب رومي يسمى الدرندين، يقول عنه الونشريسي أنه يقي متن البرد في فصل الشتاء.

أما زي النساء في المغرب العربي فهو من الحرير، والكتان، والقطيفة، والملحفة، والقطن التي تلبس في فصل الشتاء وكذا يلبس الجوارب والأخفاف كما شاع ببلاد المغرب لبس الخفاف الصرارة التي تحدث أصوات أثناء المشي مما يجلب الانتباه[4].

أما فصل الربيع فكانوا يلبسون الملابس الحريرية الخفيفة ذات الألوان الزاهية.

ب- التبرج والتزيين:

كانت النساء تتبرج بأنواع مختلفة من أدوات الزينة وكان لهن طرائق متعددة في تمشيط شعرهن، إذ أصبحوا يفرقون شعرهم وسط الرأس بدلاً أن يتركوه خصلات فوق جبينهم وتغطي أصداغهم ويقصوه حول رؤوسهن[5]، كما حرصن على تخصيب أرجلهن وأيدهن بالحناء ووضع خلاخل

[1]-محمد عادل عبد العزيز، مرجع سابق, ص: 245.

[2]- محمد عيسى الحريري: مرجع سابق, ص: 336.

[3]- محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، مرجع سابق, ص ص: 294- 295.

[4]- كمال السيد أبو مصطفى: مرجع سابق, ص: 47- 48.

[5]- محمد عادل عبد العزيز : الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية ، مرجع سابق، ص: 244.

الفضة والتزيين بالحلي مثل عقود الجوهر وأساور الذهب[1]، وكن يتجملن بأسلوب ظاهر لرجال واختيال في المشي مع استعمال طيب منتشر واستظهار ما يستدعي الفتنة، وهذا ما أدى بالعلماء إلى الإفتاء لهم بترك حال التبرج أو الخروج ليلا غير متزينات ولا متطيبات[2].

3- الطبخ الأندلسي:

أدخل الأندلسيين العديد من الوصفات والطرائق المختلفة في إعداد الطعام عند الخاصة والعامة ، والتي تعتبر صورة تعبر عن أذواق الطبخ وفنونه ، حتى أنها ظهرت كتب في الطبخ تصف الوصفات وكذا فيها فصول عن التغذية الصحية وفوائد الأطعمة ومضارها، كما تصف كيفيات للشِّفاء من نتائجها المضرة[3]، كما تعالج هذه الكتب نظام الحمية عند الأفراد.

ومن أصناف الطعام التي عرف بها الأندلسيين وهي إلى الآن الثريد ويدعى الكامل، يتكون من عدة أنواع من اللحم والدجاج وكثير من التوابل وكرات اللحم والبيض والزيتون التي تقدم جميعها مصفوفة بنظام على طبق كبير، ويرى ابن خلدون أن سكان المدن كان طعامهم يقـــوم علـــى اللحـــم وجيد القمح, وكذا نجد ما يعرف بالكوامخ وهي صنوف من شتى مستحضرات المطيبات والتوابل تستعمل في عملية الطبخ،كما تستعمل وحدها في صنوف أخرى من الطعام.

كذلك نجد المري وهو من المطيبات المعروفة في أنواع الطبخ المغربي ، و يتطلب عملية معقدة وطويلة في تحضيره، ويوجد نوعين من المري النوع الأكثر شيوعا يستخرج من الشعير والآخر من السمك[4].

أما في المناسبات كالأعياد مثلاً، يتم تجهيز الطعام والمشوي والمحمر ومختلف الأطباق, غير أن عيد عاشوراء تختلف فيه طريقة الاحتفال فتقدم فيه الفاكهة والحلوى وهذه العادة مازالت إلى الآن في بلاد المغرب, وبمجيء شهر شعبان تقام فيه مآدب تسمى الشعبانية.

---

[1]- كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق, ص 49.

[2]- الونشريسي: المصدر السابق, ج2, ص: 499.

[3]- سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 2،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1998م ص: 1020.

[4]- سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع نفسه, ص: 1021-1026.

وقد كانت لا تمر أعياد الأندلسيين من غير الحلوى والفاكهة مثلا حلوى المدائن تقدم في عيد يناير وتسمى مدائن لأنها على شكل مدن مصغرة[1]، وقوتهم في الغالب البر الطيب عامة العام والذرة العربية أمثال أصناف القطاني الطيبة وفواكههم اليابسة عامة, متعددة فكانوا يدخرون العنب, والتين والزبيب، والبلوط، والجوز، واللوز, وغير ذلك من الحاجيات التي لا تنفذ[2].

أما إذا أردنا أن نشير إلى أدوات الطبخ نجد أنه في المطبخ الأندلسي جهازان كبيران هما: الموقد والتنور،فالأول نقصد به كانون النار الذي توضع عليه قدور الطبخ والمقالي وغيرها، أما التنور فأصله يعود إلى بلاد ما بين النهرين قديماً، وهو ذو شكل أسطواني يشبه خلية النحل ومن الأحسن أن يكون وقوده من الفحم الجيد, فيقدم بذلك التنور حرارة جافة تناسب الخبز و الشواء[3].

أما قدور الطبخ فهي تختلف باختلاف الأحجام لكن أكثرها شيوعاً هي قدر الفخار، كما يوجد قدر النحاس أو ما يعرف بالمقصدرة، وكانت آنية الذهب والفضة محل تقدير عظيم, وعند وضع الأطعمة في الأواني تغطى بأغطية ذات ثقوب وذلك لتنفذ منها الأبخرة.

أما عن مسألة النظافة في المطبخ فقد كان الأندلسيون أكثر حرصاً في ذلك، إذ أن الشكاوي المقدمة كانت حول الخدم الذين يغسلون القدور أو لم يكونوا يغسلوها جيداً قبل الاستعمال ثانية، حتى أنه وصل الأمر إلى استعمال قدر جديدة كل يوم، أو يغسلها الخدم بالماء الحار والنخالة جيداً بحضور أهل الدار[4].

نستنتج من خلال هذه الدراسة أن مسلمي اسبانيا قد أحدثوا تأثيرات كبيرة في المجتمع المغاربي، من حيث أنهم كونوا فئة اجتماعية متفاعلة ظهرت في خضم سلـــم اجتماعـــي جديد، يعتمد في بنائه على ايديولوجية سياسية واقتصادية، كما أدخلت هذه الطائفة إلى بلاد المغرب أنماط جديدة في مختلف المظاهر الاجتماعية التي تم تناولها في هذا الفصل، فقد كانت أكثر فئات المجتمع ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي سكان المغرب، حيث تميزت بأسلوبهـا الراقـــــي فـــي

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510- 546هـ / 1116-1151م، تاريخ سياسي وحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1408هـ/ 1988م، ص ص:326-327.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص:137.

[3]- ابن الخطيب: المصدر نفسه، ج1، ص: 137.

[4]- سلمى الخضراء الجيوسي: مرجع سابق , ص ص: 1023- 1024.

المعيشة ، وتعاملهم المتحضر ، وأناقتهم في اللباس ، والذوق الرائع في المأكل والمشرب ، حتى أن لهجتهم كانت عربية واضحة على خلاف المناطق المغربية التي كانت تسودها لهجة بربرية.

المبحث الرابع: من الناحية الاقتصادية:

إن الأحداث التي شهدتها بلاد الأندلس من حروب وفتن وكذلك نشاط حركة الاسترداد النصراني لأراضي الأندلس، دفع بكل المقيمين بها إلى الهروب والهجرة إلى البلدان المجاورة، فلم تقتصر الهجرة على الطبقة المثقفة فقط بل شملت جميع فئات المجتمع الأندلسي.

وكان ممن تضمنته قوافل الوافدين على بلاد المغرب الأوسط مجموعة معتبرة من الحرفيين والصناع والفلاحين والتجار الذين كان لهم دور بارز في تنشيط الحركة الاقتصادية حيث ساهموا مساهمة فعالة في تطوير الزراعة والتجارة والصناعة.

1-الفلاحة:

كان سكان المغرب في فترة العصر الوسيط يعتمدون اعتمادا كبيرا على الفلاحة التي ارتبطت بالأرض والماء والتقنيات والمجهود البشري[1]، ولعل خصوبة أراضي بلاد المغرب الأوسط ووفرة المياه وتنوع مناخه جعل أهله يهتمون أكثر بالزراعة وتطويرها حيث اتسمت الفلاحة بنوع من الازدهار، وهذا ما أشار إليه معظم الجغرافيين من خلال وصفهم للحالة الزراعية في المنطقة فمثلا البكري(487هـ) يصف تلمسان بأنها:"وهي مدينة مسورة في سبح جبل شجره الجوز"[2].

وكذلك الإدريسي في نزهة المشتاق تحدث عن الزراعة في تلمسان فقال: "وما جاورها من المزارع كلها مسقي وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة"[3].

[1]- بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6-9هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، (2009-2010م)، ص: 156.

[2]- أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص: 76.

[3]- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص: 248.

كل هذه النصوص تدل على اهتمام أهل المغرب الأوسط بالزراعة وتطويرها ولعل هجرة الفلاحين الأندلسيين ودخولهم إلى بلاد المغرب الأوسط جعلهم يضفون تطورا كثيرا في الفلاحة والسقي وذلك من خلال نقل الخبرات الأندلسية في هذا الميدان.

وإن كانت المصادر وحتى المراجع لا تمدنا بمعلومات واضحة على مساهمة الفلاحين الأندلسيين في المجال الزراعي بالمغرب الأوسط وخاصة بحاضرة بجاية ، إلا بعض الإشارات القليلة، فمثلا روبار برنشفك أشار إلى أن الأندلسيين عند استقرارهم في مدينة بجاية التي جعلوا منها احدى المحطات البحرية، حيث استفادوا من أراضي خارج المدينة استقروا بها ضمن مجموعة كاملة في الناحية الشرقية في اتجاه وادي القردة[1]، وكذلك في البساتين المحيطة بنهر السمام[2]، حيث مارسوا زراعة البقول التي هي من اختصاصهم[3].

وكان الاهتمام الكبير الذي أولاه السلطان يغمراسن التلمساني بالمهاجرين الأندلسيين وذلك من خلال الظهير الذي أصدره في شأنهم دور كبير في نشاط الفلاحين الأندلسيين وإبراز مواهبهم في هذا الميدان حيث منحت لهم الأراضي الزراعية المناسبة لنشاطهم[4].

وكان استقرار هؤلاء الفلاحين في ضواحي المدينة وأحوازها ولا سيما في وادي الوريط[5]، فانتشروا على ضفتيه، حيث شيدوا القرى والبساتين وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار فجبلت للبلاد وأهله الخير والنعمة[6].

---

[1]- وادي القردة: هو وادي في جبل أمسيول فيه مياه سائحة وعيون كثيرة وبساتين، وهو كثير القردة، ينظر: الروض المعطار، ص: 82.

[2]- نهر السمام:هو نهر كبير يقرب منها نحو الميلين عليه كثير من جنانهم وقد صنعت عليه نواعر تسقى من النهر وله متنزه عظيم، ينظر : الروض المعطار، ص: 81.

[3]- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج1،ص: 417.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 175.

[5]- وادي الوريط: منبع هذا الوادي من ماء مجلوب من عمل الأوائل من عيون يسمى بوريط بينها وبين المدينة ستة أميال، ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص: 175.

[6]-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 176.

وهذا ما أشار إليه ابن الأعرج بقوله: "وأظهروا هناك من صنائهم ومتاجرهم ما عاد بالنفع على البلاد وأهلها وملئوا تلك الشعاب من البساتين المتنوعة الثمار وأنواع الرياحين والأزهار ...واتصلت مساكنهم بذلك الوادي إلى نهر السطفسيف[1]، أقاموا بها عمارة وبقيت آثارهم بتلك الشعاب العميقة ذات الأدراج المؤنقة والمياه المتدفقة والثمار المتنوعة[2].

ولقد كان للسياسة الحكيمة لملوك الدولة الزيانية في الاستفادة من خبرات هؤلاء المهاجرين وتوجيههم الصحيح كل حسب تخصصه دور في تنشيط الحركة الاقتصادية في الدولة الزيانية، وهذا ما أشار إليه المقري "ولما نفذ قضاء الله على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفترة الأخيرة فتفرقوا ببلاد المغرب من بر العدوة حتى بلاد إفريقية فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي إلى ما اعتادوه، ودخلوا على أهلها وشاركوهم فيها، فاستقوا الماء وغرسوا الأشجار وأحدقوا الأرض وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرقت بلادهم وصلحت أحوالهم"[3].

ولقد أقدم المحترفون بالفلاحة على تطوير الزراعة وتجديدها باستعمال أساليب وطرق زراعية متطورة، قلدهم في ذلك الناس في فلاحتهم واعتنائهم بغرس الزيتون وسائر الفواكه[4].

وساهم الأندلسيون في تطوير نظام الري وذلك بإنشاء القنوات التي تستخدم في توصيل المياه المتساقطة من عيون الجبال والسهول البعيدة، كما أدخلوا وسائل لم تكن معروفة من قبل كالساقية لرفع الماء وتوزيعه، وعهدوا على استغلال المياه المنحدرة من الجبال عن طريق جريان الماء في أنابيب من الرصاص تصب في أحواض عديدة مصنوعة من الفضة والنحاس أو في بحيرات وخزانات ونافورات مصنوعة من الرخام[5].

---

[1]- نهر السطفسيف: هو نهر بشرق تلمسان ينبعث من أسفل جبل الفضل ويصب في بركة عظيمة، ينظر الروض المعطار، ص:135.

[2]-ابن الأعرج، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، ورقة 96، نقلا عن عبد العزيز فيلالي، ص:176.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص: 152.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 177.

[5]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع 173-175.

وكان لخبرة الأندلسيين في تخصيب الأراضي دوره في وفرة المنتوج ونوعيته ببلاد المغرب الأوسط وذلك من خلال استعمال السماد البلدي لإخصاب الأراضي ، فلقد اشترك الأندلسيون مع اخوانهم المغاربة في تبادل الخبرات بشأن تنمية الزراعة والعمل على نهضتها[1].

ولم يكتف الأندلسيون بالجانب العملي، بل اهتموا أيضا بالجانب النظري فقد ألف محمد بن علي الشاطبي الأندلسي رسالة رتبها على ثمانية أبواب اعتمد فيها على ما تقرر في كتب علماء الفلاحة الأندلسيين أمثال ابن بصال وابن وافد وابن ليون التجيبي، كما اعتمد على تجاربه الشخصية لاستخلاص ما يلائم طبيعة البلاد المغربية[2].

ومن الثابت أن الأندلسيين أحدثوا تأثيرا ملموسا في الزراعة بالمغرب الأوسط وخاصة في مجال إقامة البساتين وفلاحتها وتنسيقها حيث امتازت البساتين التي أنشأت في العصر الحفصي بطابع أندلسي خالص[3].

ومثلما قال العمري: "ومنذ خلا الأندلس من أهله وأووا إلى جناح ملوكها[يقصد إفريقية أيام الحفصيين] مصروا إقليمها ونوعوا بها الغراس فكثرت منتزهاتها وامتد بسيط بساتينها[4].

ومن الأسر الأندلسية التي لعبت دورا ملحوظا في تنشيط وتطوير الفلاحة بالمغرب الأوسط، أسرة بني الملاح الأندلسية التي برع أفردها في الفلاحة[5]، وكانوا مقربين من بعض سلاطين بني زيان.[6]

---

[1]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1980، ص: 236.

[2]-محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى بلاد المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1998، ص: 266.

[3]-روبار برنشفك، المرجع السابق، ج2، ص: 217.

[4]- ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحي(749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ج4، ص: 66.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 140-141.

[6]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص: 163.

2- الصناعة:

لقد كان للصناعة دور فعال في ازدهار الحياة الاقتصادية ببلاد المغرب وبالأخص بلاد المغرب الأوسط، ولذا نجد اهتماما كبيرا من الحكام الذين تعاقبوا على المغرب الأوسط وبالأخص في عهد الموحدين والزيانيين وحتى الحفصيين، ولقد ساعدهم في ذلك الاستقرار النسبي للأوضاع في المنطقة وكذلك توفر المواد الخام التي تقوم عليها الصناعة، وكذلك وجود الخبرة الصناعية المتمثلة في الأيادي العاملة[1] .

ولقد كان لدخول الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط عن طريق الهجرات المتتالية لهم ، دور فعال في تطوير الصناعة لبراعتهم فيها ومن الملاحظ أن الأندلسيين المهاجرين إلى العدوة المغربية قد امتازوا بالجودة والإتقان في صناعاتهم، حتى أنهم تفوقوا على أهل المغرب وصاروا هم المسيطرين على مختلف الصناعات وهذا ما ذكره المقري "وأما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأخملوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم ويصير الذكر لهم"[2].

ولقد حمل الأندلسيون معهم العديد من الحرف والفنون وطوروها ببلاد المغرب إذ كانت لهم مناهج خاصة في دباغة الجلود وصناعة الحرير والصوف[3].

ولقد أسهم البناؤون والمهندسون الأندلسيون في بناء الكثير من القصور والمساجد والمنازل الفخمة والبساتين الناظرة[4].

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 257.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص: 152.

[3]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 267.

[4]- عبد العزيز فيلالي، الرجع السابق، ص: 178.

وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "فبعث إليها السلطان الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين[1]، فقد استعانت حاضرة تلمسان أيام أبو حمو الأول(707-718هـ) وابنه الأمير أبو تاشفين (718-737هـ)بالصناعة والفعلة من أهل غرناطة، هؤلاء الذين مهروا في مختلف الميادين من صناعة البناء وهندسة البساتين وبناء المنازل مما جعلهم محط إعجاب التلمسانيين وغيرهم من المغاربة وزاد عددهم بعد الهجرة، مما ساعد على نمو الحرف في البلاد[2].

وكان ولاة الأمور مشجعين للصناع الأندلسيين هذا ما أثمر تقدما صناعيا نتيجة الاحتكاك المباشر بين الصناع من البلاد والخبرة الصناعية الوافدة من الأندلس[3].

ولقد برع الأندلسيون في أنواع كثيرة من الصناعات المفيدة وعملوا على تطويرها وتنميتها ببلاد المغرب الأوسط وذلك لتنوع المواد الأولية به فعملوا على صناعة الطرز وصناعة النسيج، التي شملت نسج الحرير والقطن والكتان وصناعة الفخار والخزف والأواني المنزلية، وتصنيع أنواع كثيرة من الأسلحة، فقد ذكر المؤرخ ابن الأعرج في كتابه زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ "وكان لعهد نزول الأندلسيين بها(تلمسان) مزدانة بالمصانع المفيدة فما شئت من أطرزة ومنسوجات الحرير والقطن والكتان والصوف ومعامل الفخار وأنواع الأسلحة وسائر الأواني المنزلية...وراجت بين الناس آدابهم وراجت مصانعهم"[4].

[1]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 190.

[2]- بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغربين الأوسط والأقصى، ص: 213.

[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 261.

[4]- ابن الأعرج محمد الحسن السلماني، المرجع السابق، ورقة: 96-97-100، نقلا عن عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص: 177.

وكذلك من الصناعات التي أدخلوها إلى المغرب الأوسط وساهموا في تطويرها صنع الكراريط[1] التي تمهد الطرق، وكذلك تطوير صناعة الزيوت واحداث المعاصر أو تجديدها، وكذا تطوير صناعة الزليج وأنشأوا مصانع للصابون والعطور والجلود[2].

نجد أنهم توافدوا على تلمسان بكثرة وتركوا بصمتهم فيها حيث أصبح الطابع الحضاري لأهل تلمسان يكاد يكون طابعا أندلسيا في الفضاءات العمرانية وفي مختلف البناءات الدينية والدنيوية[3].

إلا أنه مثلما يرى محمد سعداني يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات من خلال تتبع تطور بعض الصناعات بمدينة بجاية وخاصة الصناعات الجلدية التي برع فيها البجائيون في عهد الدولة الموحدية خصوصا في صناعتهم الأحذية المتنوعة الأشكال وقد تصدرت هذه الصناعة من قبل مدينة قرطبة لوجود مراكز صناعة خاصة بها , ونظرا لتدهور الوضع بالأندلس وهجرة أهله عنه إلى المدن القريبة من العدوة الأندلسية والتي منها بجاية , ثم نقل إلى هذه المدينة بعض الصناعات التي تفوق فيها الصانع والحرفي الأندلسي[4].

ومن هذه الصناعات الصناعة الجلدية

وكذلك من الصناعات التي نجد فيها اللمسة الأندلسية ببجاية الصناعة الفخارية والخزفية والزجاجية، وكانت هذه الصناعة رائجة في العهد الحمادي واستمرت في عهد الموحدين والحفصي، بل تطورت أكثر وزاد تنوع منتوجها من الأدوات الزجاجية والفخارية وذلك بسبب تأثرها بالفنون

[1]- الكراريط: مفردها الكريطة: كلمة غير عربية وهي لفظ اسباني وهو CARRETA :وهو عبارة عن عربة ذات عجلات مسننة تجر بواسطة الدواب كانت تستخدم في تمهيد الطرق ودرس المحصول، ينظر: روبار برنشفك، المرجع السابق، ج2، ص: 214.

[2]- كمال السيد أبو مصطفى، الأندلسيون في تونس وإسهاماتهم الحضارية منذ الق 7هـ حتى أوائل الق 11هـ، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، ص: 57-58.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 180.

[4]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص: 206.

القادمة من المشرق وخصوصا من الأندلس، على اعتبار ان النسبة كبيرة من المهاجرين الأندلسيين بمختلف طبقاتهم الاقتصادية والاجتماعية استوطنوا مدينة بجاية [1].

وقد لاحظ مارمول كربخال في رحلته إلى إفريقية وبجاية أن جل سكانها كانوا من صناع الأقمشة و الفرشات والزرابي على طراز المغربي الأندلسي[2].

ولم يكتف الأندلسيين بنقل الحرف والفنون بل حملوا معهم تنظيماتهم إلى المغرب فقد كانوا منتظمين في الطوائف الحرفية يسميها الحسن الوزان نقابات[3].

وكان سهل الوادي الوريط بضواحي تلمسان يحتوي على مجموعة من الورشات الصناعية التي أسسها المهاجرون الأندلسيون ونقلوا إليها صناعة الأطرزة والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتان والصوف وسائر الأواني المنزلية ومعامل الفخار والخزف والأسلحة المختلفة[4].

3- التجارة:

نظر للازدهار الكبير الذي عرفته الزراعة والصناعة ببلاد المغرب الأوسط وذلك بفضل خبرة الأندلسيين ومهارتهم، هذا ما انعكس على التجارة سواء الداخلية أو الخارجية، فكانت الأسواق الداخلية مزدهرة ومليئة بمختلف السلع ذات الجودة العالية، هذا الأمر الذي شجع أكثر التجارة الخارجية حيث أقبل التجار من خارج البلاد على الأسواق من أجل اقتناء هذه السلع وتسويقها خارج البلاد.

ولقد ساعد في تطور التجارة وازدهارها توفر الأمن في المنطقة وكذلك الاستقرار التي عرفته البلاد وكذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه الحكام المتعاقبون على المنطقة من الموحدين، والزيانيين،

[1]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص: 207.

[2]- مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، (1408-1409هـ/1988-1989م)، ج2، ص: 376.

[3]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 267.

[4]- ابن الأعرج، المصدر السابق، ورقة: 97، نقلا عن عبد العزيز فيلالي، ص:222.

والحفصيين على توفير الأمن والأمان للتجار الوافدين على المنطقة، وهذا ما أشار إليه ابن صاحب الصلاة بقوله "يسير الراكب حيث شاء من بلاد العدوة في طرقها وجبلها وسهلها آمنا نفسه وماله لا يخاف إلا الله أو الذئب ...وأمنهم من المخاوف فيما تقيد عليهم في الدواوين فزاد الانبساط...وتمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة ...وأمنو في كل طريقة ...في جميع العدوة والأندلس"[1].

ولعل الموقع الساحلي البحري لبلاد المغرب الأوسط وبالأخص في حاضرتيه بجاية وتلمسان جعل منه وجهة لكثير من التجار والسفن التجارية وبالأخص من الأندلسيين الذين كانوا يقصدون هذه السواحل من أجل التجارة ولقد كان للتجار الأندلسيين دور كبير في تنشيط التجارة الخارجية في المنطقة وذلك منذ اتصال المغرب بالأندلس عن طريق الفتح فقد أشار البكري إلى أن مدينة بجاية كانت عامرة بأهل الأندلس[2].

ولقد زاد هذا النشاط التجاري خاصة ببجاية في القرن السادس الهجري مع البدايات الأولى للهجرة الأندلسية حيث تحولت بجاية إلى قطب اقتصادي تجاري وملتقى للطرق التجارية البرية الواصلة بين المدن المغربية، وكثرة السفن الوافدة على موانئها ومراسيها وهذا ما أكد عليه الإدريسي في حديثه عن حاضرة بجاية: "والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة والأمتعة، إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار...وبجاية قطب لكثير من البلاد[3].

وكان المهاجرون الأندلسيون يميلون أكثر إلى ممارسة التجارة ولذلك نرى أنهم كانوا يستقرون بالمناطق الساحلية البحرية والتي هي مراكز التجارة مثلما أشار إلى ذلك روبار برنشفيك حيث قال عن الأندلسيين المهجرين: "ولكن أغلبهم وجدوا ملجأ أقرب في البلاد المغربية ومنهم من كانوا

[1]- عبد الملك ابن صاحب الصلاة(594هـ-1198م)، المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987م، ص: 266.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص: 82.

[3]- الادريسي، المصدر السابق، ص: 260.

يهيمون من ميناء إلى ميناء ومن منطقة إلى منطقة...وقد كانت المدن البحرية بطبيعة الحال في طليعة المدن التي تستقبلهم وكثيرا ما يستقرون فيها وفي ضواحيها"[1].

ولقد برع الأندلسيون في التجارة في المغرب الأوسط وحققوا أرباحا طائلة منها ولعل الشاهد على ذلك هو وجود كبار التجار من الأندلسيين في المنطقة سواء في حاضرة تلمسان أو في حاضرة بجاية الحفصية.

مثلما ذكر الرحالة عبد الباسط في رحلته أن أبا القاسم البنيولي الغرناطي كان كبير التجار ومن ذوي الثراء بالحاضرة الحفصية تونس[2].

ويبدوا أن تفوقهم في التجارة يرجع إلى حسن تنظيم الجماعة الأندلسية في الحواضر الكبرى سواء في بجاية أو تلمسان حيث كان لهم شيخ يرأسهم ويرعى شؤونهم ويدافع عن مصالحهم[3].

وفي تلمسان كان التجار الأندلسيون يقيمون داخل العاصمة تلمسان وهذا برعاية الأمير عبد الواحد بن أبي عبد الله(814-827هـ/1411-1424م)، وكذلك أبي العباس أحمد الزياني(834-862هـ/1431-1462م) اللذين سمحا للعلماء والتجار والحرفيين وأصحاب رؤوس الأموال أن يقيموا داخل تلمسان وخصص لهم درب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين، ولقد ساعد التنظيم التجاري الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط على نشاط هؤلاء الأندلسيين خاصة في مجال التجارة.

[1]-روبار برنشفك، المرجع السابق، ج2، ص ص: 158-159.

[2]- عمر عبد السلام التدمري، رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس(866-871هـ/1462-1467م)، الجامعة اللبنانية، طرابلس، ص: 22.

[3]- روبار برنشفك، المرجع السابق، ج2، ص: 159.

فكثرة الأسواق بالمنطقة شجع على حركة التجارة وخاصة الأسواق الكبرى والتي كانت تعرف بالقيساريات[1]، مثل: القيسارية التلمسانية، وكانت هذه الأسواق تحوي عدة مرافق تساعد التجار على تجارتهم مثل:الدكاكين والحوانيت التي كانت منظمة على حسب كل تجارة مثل: دكاكين الصباغة، دكاكين البقالة.

وكذلك الفنادق التي كانت مكان إقامة للتجار الوافدين على هذه الأسواق وكذلك مستودعا لأنواع السلع، وساعد أيضا التنظيم الذي كان موجودا بالمغرب الأوسط مثل النظام النقدي الذي كان متعاملا به وكذلك الموازين والمكاييل والمقاييس[2].

[1]- القيساريات: اسم قديم يشير إلى قيصر أكبر ملوك عصره بأوربا ، وكما هو معلوم أن جميع ساحل المغرب كان خاضعا للروم وكل مدنه كانت تحتوي على سوق يحمل هذا الاسم الذي تحول إلى قيسارية./ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 242.

[2]- بلبشير عمر، المرجع السابق، ص ص: 228-242.

خاتمة

الخاتمة:

لقد كان للحروب والفتن التي ظهرت في بلاد الأندلس مع مطلع القرن السابع الهجري والي غاية القرن التاسع الهجري اثر كبير في خسارة المسلمين لبلاد الأندلس، هذه الخسارة نجم عنها تغير كبير في الساحة السياسية، حيث كانت نهاية الأندلس بداية للحملات الصليبية التي ستأتي علي الأخضر واليابس.

كخاتمة لبحثنا هذا أردنا أن نسجل بعض النتائج والملاحظات التي وصلنا إليها من خلال هذه الدراسة وذلك علي شكل نقاط.

- إن للمعارك الكبرى دوراً كبيراً في تغيير موازين القوي ، فمعركة العقاب مثلا كانت تنذر بسقوط دولة الإسلام في الأندلس، فكانت بداية النهاية لسلطان المسلمين في بلاد العدوة، وبداية انطلاقٍ للزحف النصراني الجارف.

- إن الخلافات والصراعات التي كان عليها أمراء الموحدين عجلت بانقراض دولتهم، فكانت البداية في الأندلس، ثم انتقلت بعد ذلك إلي بلاد المغرب، ولعل هذا هو السبب الرئيسي في سقوط الدولة الموحدية، وهو كذلك سبب في نهاية كل دولة، فالصراع علي الحكم لا ينتهي إلا بزوال ذلك الحكم.

- إن السقوط المتوالي للحواضر الإسلامية بالأندلس ما هو إلا دليل علي ضعف المسلمين بالمنطقة وتفرقهم، وربما أن الأندلسيين كانوا بحاجة إلي قائد يبث فيهم حماس الجهاد والدفاع عن الأرض والوطن، لكن قادة تلك الحواضر كانوا متواطئين مع النصارى، وربما ساهموا بشكل اكبر في سقوط هذه الحواضر.

– إن الأندلسيين كانوا يفتقدون الحماسة الجهادية، والدفاع المستميت علي الأرض والدين والوطن، وما سهولة سقوط هذه الحواضر إلا دليل علي ذلك، فكان النصارى لا يجدون أمامهم أي مقاومة، وان وجدت مقاومة فهي ضعيفة.

– إن النصارى ما استطاعوا أن يحققوا كل هذه الانتصارات إلا باتحادهم واجتماع كلمتهم، حيث أنهم نبذوا ما كان بينهم من صراع، واجتمعوا علي قلب رجل واحد من اجل القضاء علي الإسلام والمسلمين، وما ارض الأندلس إلا بداية لهذا المخطط الرهيب.

– دور الكنيسة (الدين) في هذه الحروب، فكل تحركات النصارى كانت بمباركة الكنيسة، ولذلك هبت كل أوربا النصرانية لتجسيد هذا المخطط، الذي كان شعاره القضاء علي الإسلام .

– إن سقوط مملكة غرناطة، كان عبارة عن نهاية لبلاد الأندلس الإسلامية، ودخولها في مرحلة جديدة تحت سلطان النصارى.

– التعذيب وحركات التنصير الإجباري التي تعرض لها المسلمون في الأندلس، أجبرتهم علي الهجرة والفرار بدينهم إلي المناطق الأخرى من العالم الإسلامي.

–اتسمت الشخصية الأندلسية منذ البدايات الأولى للتواجد الإسلامي عل أرض الأندلس بسمة مهمة، وهي الميل إلي التنقل والهجرة، وهذا ما جعل الأندلسيين يختارون الهجرة إلي البلدان الأخرى، وشجع علي ذلك فتاوى بعض العلماء التي أوجبت الهجرة علي المسلمين في الأندلس، مثل فتاوى الإمام الونشريسي.

–إن الاستقرار الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط في الفترة الأخيرة من حكم الموحدين، وكذلك بعد قيام الدولة الحفصية والزيانية، جعلت أكثر المهاجرين الأندلسيين يستقرون بها.

-لقد استقبل أهل المغرب الأوسط هؤلاء المهاجرين استقبالا حارا، عبروا فيه عن مدي تضامنهم مع إخوانهم المهجرين، وهذه هي سمة أهل المغرب التي جبلت علي حب الوافد الغريب والاهتمام به أكثر.

-كانت البدايات الأولي للهجرة، من العائلات الأندلسية الكبيرة والعلماء وبعض الطبقة السياسية، ثم شملت بعد ذلك جميع فئات وطبقات المجتمع الأندلسي.

-لقد كان للبيوتات الأندلسية دور كبير في الساحة المغربية، حيث استطاعت أن تصل إلي بعض المناصب السياسية العالية.

-لقد كان للسياسة الحكيمة، لأمراء وملوك الدولة الزيانية والحفصية، باحتواء الجالية الأندلسية وتوجيهها كل حسب تخصصه وطبيعة عمله، دور في الاستفادة من خبرات هؤلاء المهاجرين.

-كان للأندلسيين المهاجرين دور في دفع عجلة التطور والازدهار في المغرب الأوسط، فشملت مساهماتهم جميع مجالات الحياة، حيث استطاعوا أن يضعوا بصمتهم ويغرسوا ثقافتهم في أوساط المغرب الأوسط.

-فمن الناحية الثقافية، كان للعلماء الأندلسيين دور في نشر عدة علوم سواء في المجال الديني أو المجالات الأخرى، حيث كان للعلماء الأندلسيين صيت كبير وكانوا مقصد الكثير من الطلاب والمريدين.

أما من الناحية الحضارية والعمرانية فلقد استطاع هؤلاء المهاجرون أن يتركوا بصمتهم في الكثير من المنشآت العمرانية، سواءً الدينية كالمساجد والمعاهد أو الدنيوية كالقصور والمنازل والحدائق والبساتين، فكان الطابع الأندلسي هو السمة الغالبة علي هذه المنشآت

العمرانية في تلك الحقبة الزمنية، أما من الناحية الفنية فقد نقل الأندلسيون حبهم للموسيقي والغناء وغرسوه بين أبناء المجتمع المغربي.

من الناحية الاجتماعية، نجد أن الأندلسيين استطاعوا أن ينقلوا الكثير من عاداتهم، التي جعلت أهل المغرب الأوسط يقلدونهم فيها، مثل الملابس وكيفية إقامة الحفلات وحتى في مجال الطبخ.

أما المجال الاقتصادي، نجد أنهم ساهموا بصفة كبيرة في تطوير الزراعة والصناعة بالبلاد، وكان لهم دور بارز في النهوض بالاقتصاد وتطويره، فلقد ادخل الوافدون الأندلسيون الكثير من الحرف والتقنيات الزراعية والصناعية، التي ساهمت أكثر في ازدهار الصناعة والفلاحة، وكان لهم أيضا دور في تنشيط حركة التجارة بالمنطقة.

إن المغرب الأوسط كان له دور كبير في احتواء المهاجرين الأندلسيين، الذين كان لهم دور فعّال في النهوض بالحياة الاقتصادية والحضارية لبلاد المغرب الأوسط.

ملاحق

الملحق رقم: 01

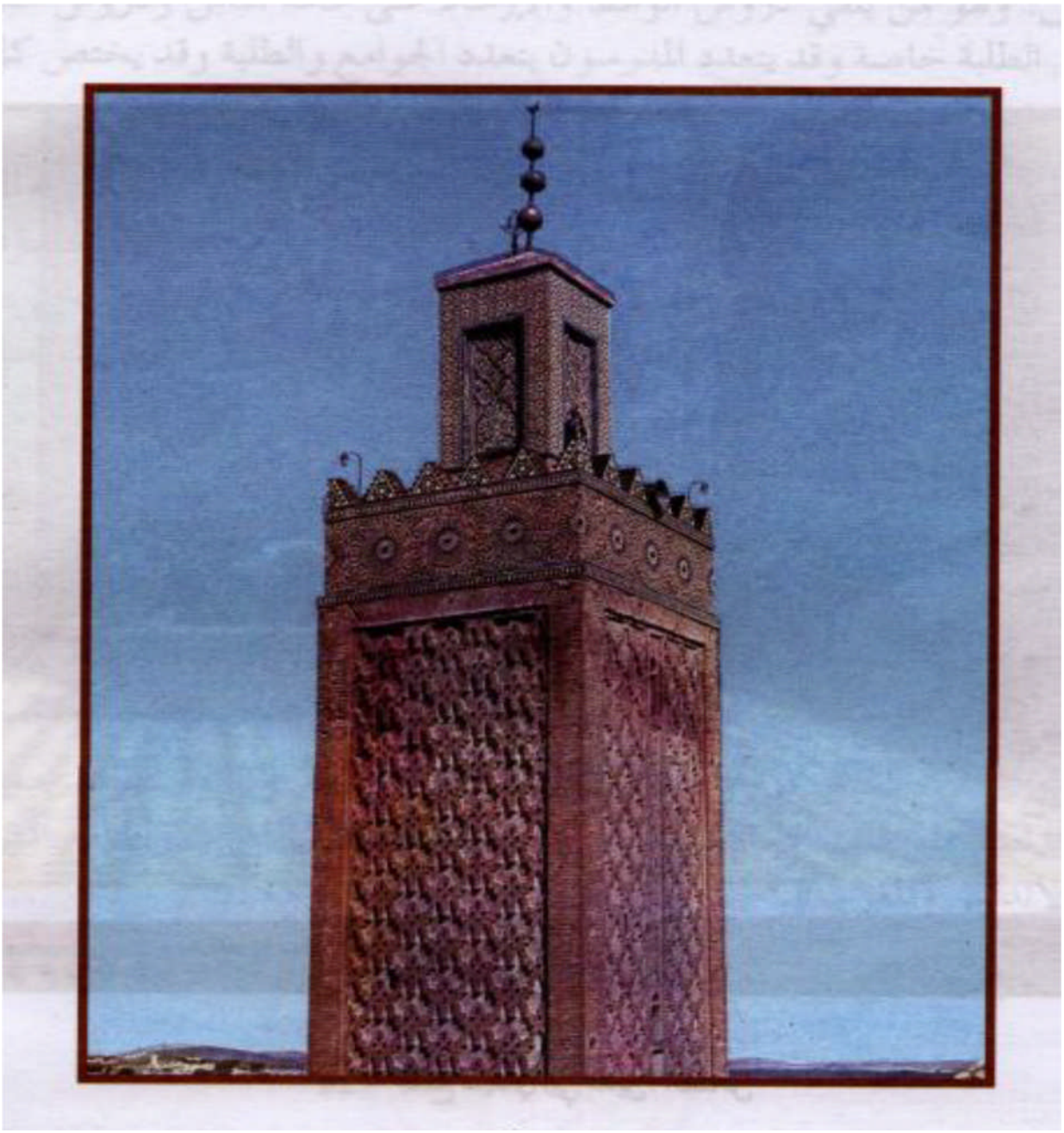

صورة تمثل مئذنة جامع أبي مدين شعيب بتلمسان والتي توحي مدى التأثير الأندلسي في الجانب الحضاري.

محمد بن رمضان شاوش، المصدر السابق، ص: 82.

الملحق رقم: 02

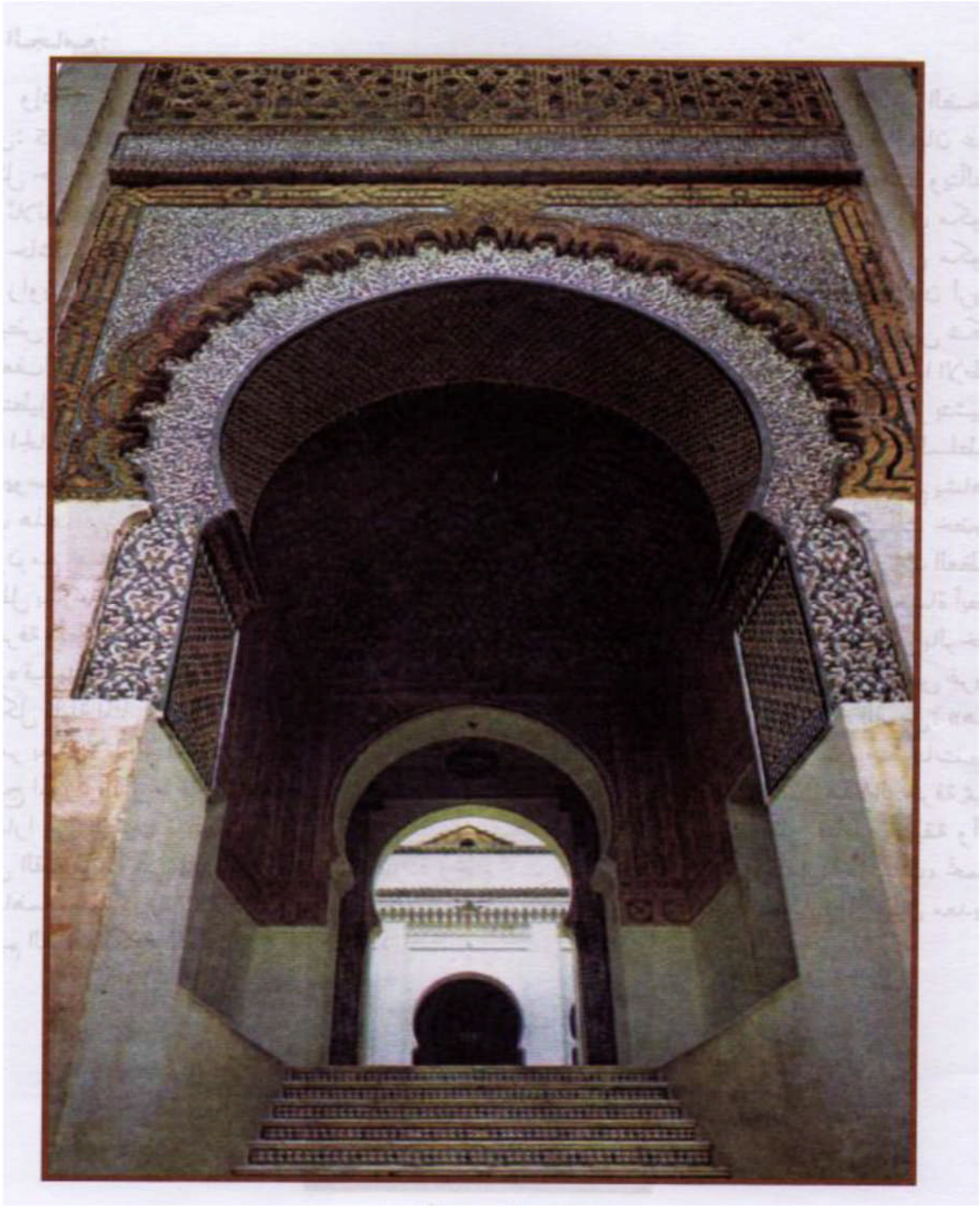

صورة تمثل الباب الباطني لجامع سيدي أبي مدين، مظهر من مظاهر التأثير الحضاري الأندلسي.

محمد بن رمضان شاوش، المصدر السابق، ص: 246.

الملحق رقم: 03

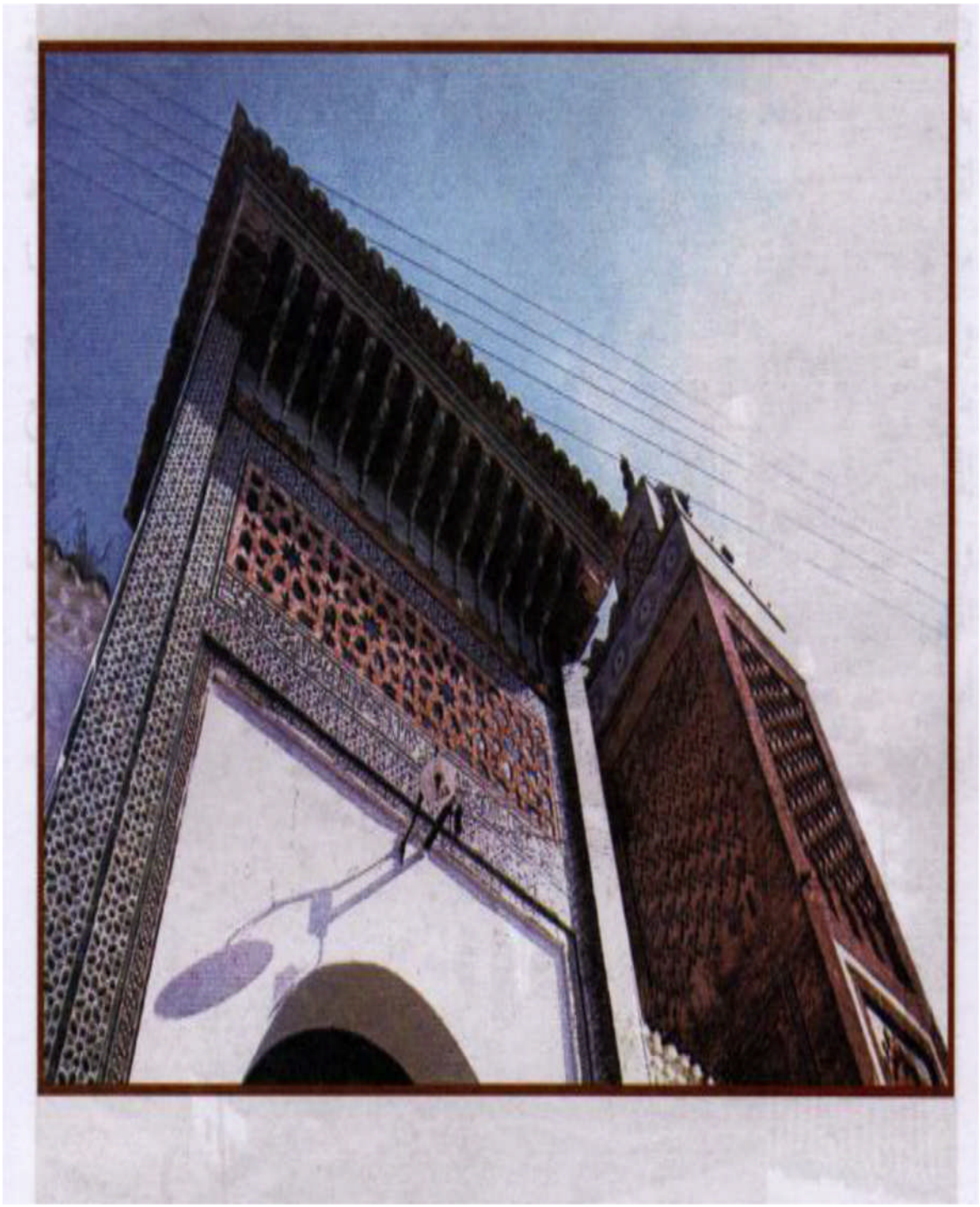

صورة تمثل باب الدخول ومئذنة جامع سيدي الحلوي.

محمد بن رمضان شاوش، المصدر السابق، ص: 86.

الملحق رقم :04

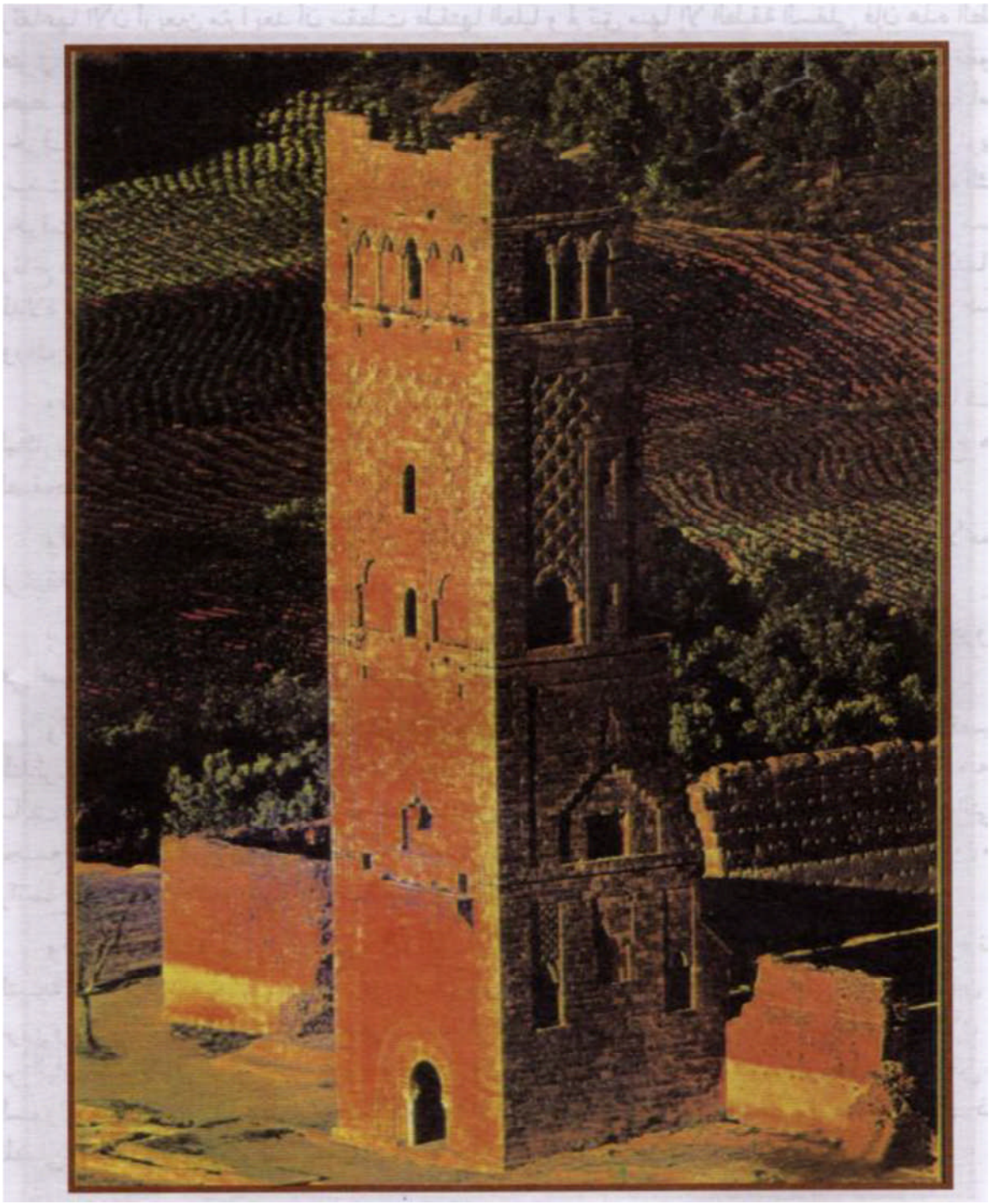

صورة تمثل مئذنة الجامع الكبير بالمنصورة والباب الرئيسي تحتها الذي بناه المرينيون في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي والذي يوجد بينه وبين مسجد الجرلدا في اشبيلية.

محمد بن رمضان شاوش، المصدر السابق، ص: 229.

الملحق رقم: 05

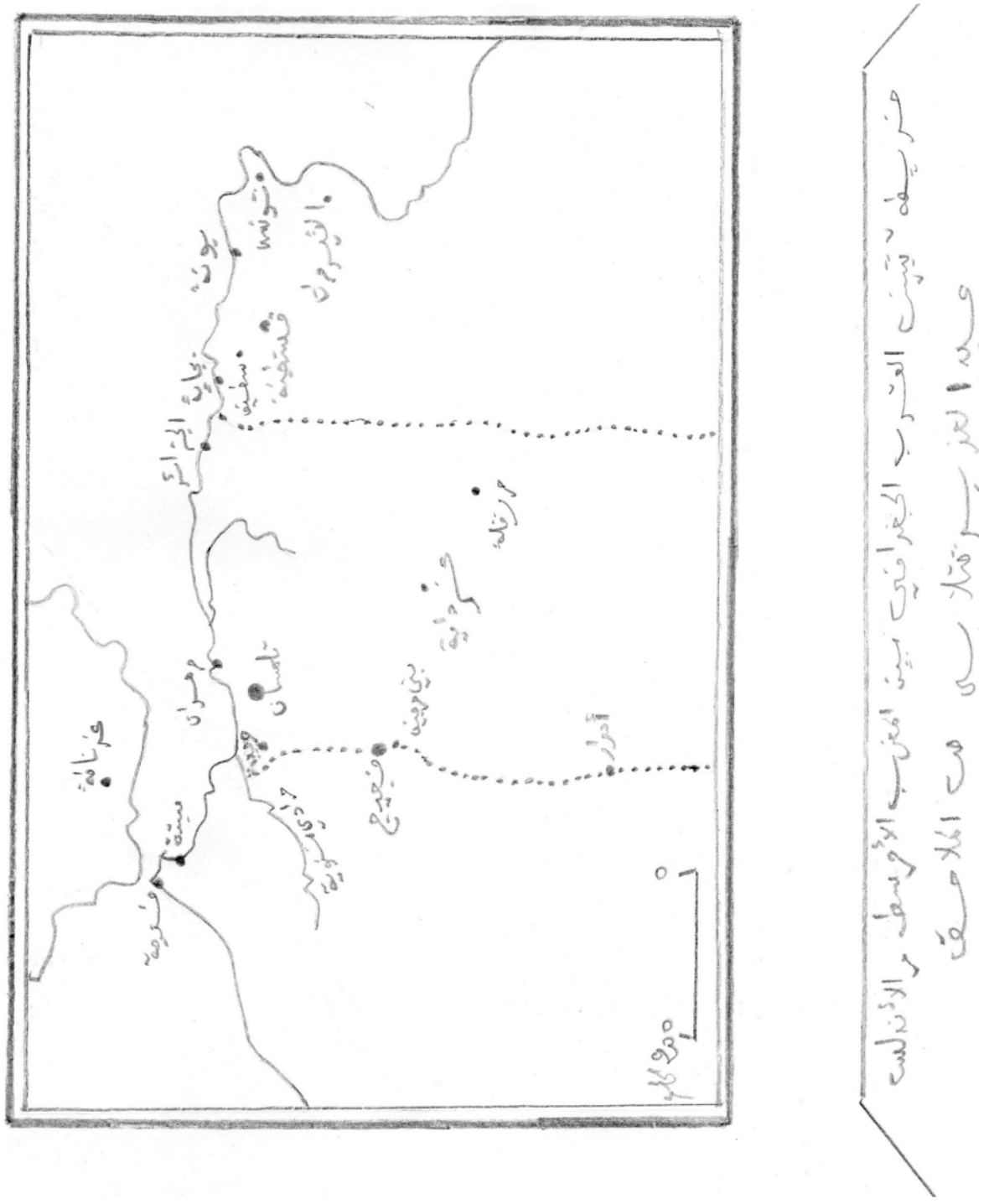

خريطة توضح القرب الجغرافي بين المغرب الأوسط والأندلس.

عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص:628.

الملحق رقم :06

خريطتان تمثلان موقع مملكة غرناطة وبلاد المغرب العربي بعد زوال دولة الموحدين.

شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط5، 2002، ص: 83

الملحق رقم :07

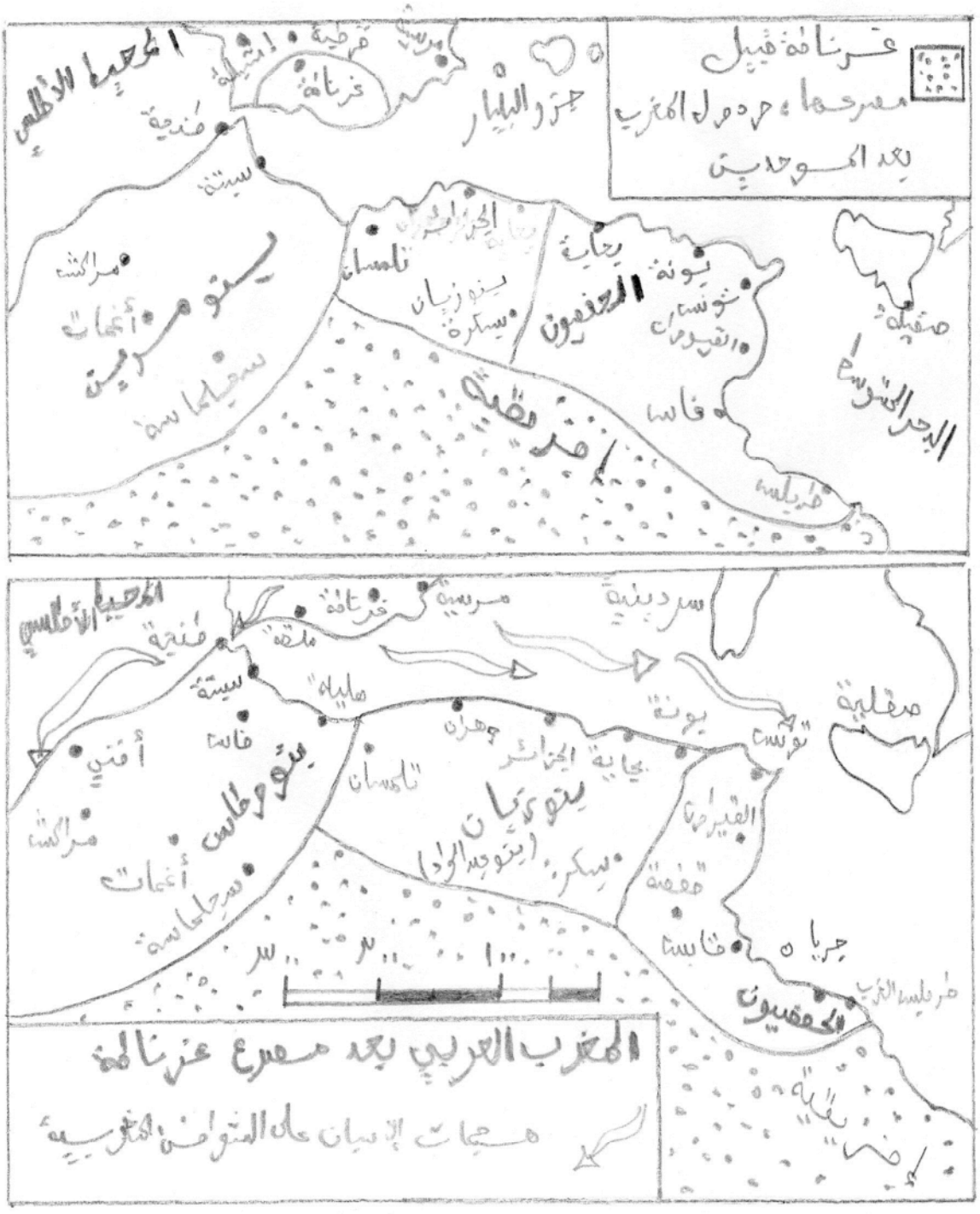

خريطتان تبينان هجمات الصليبيين على بلاد المغرب العربي بعد سقوط غرناطة.

شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص: 84.

الملحق رقم :08

لكلّ شيء إذا ما تمّ نُقْصَانُ ... فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأمور كما شاهدتها دُوَلٌ ... مَنْ سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدار لا تُبْقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شانُ

يمزقُ الدهرُ حتماً كلّ سابغة ... إذا نَبَتْ مشرفياتٌ وخُرصانُ

وينتضي كلّ سيف للفناء ولو ... كان ابن ذي يزن والغمد غمدانُ

أينَ الملوك ذوُو التيجان من يمنٍ ... وأينَ منهُم أكاليل وتيجانُ

وأين ما شاده شَدّادُ في إرم ... وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ

وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عادٌ وشدّادٌ وقحطانُ

أتى على الكلّ أمرٌ لا مردّ له ... حتى قضوا فكأنّ القوم ما كانوا

وصار ما كان من مُلكٍ ومن ملكٍ ... كما حكى عن خيال الطيف وَسنانُ

دارَ الزمانُ على دارا وقاتِلِهِ ... وأمّ كسرى فما آواه إيوانُ

كأنّما الصعب لم يسهل له سبب ... يوماً ولا ملك الدنيا سليمانُ

فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوّعة ... وللزّمانِ مَسَرّاتٌ وأحزانُ

وللحوادثِ سُلْوانٌ يسهّلها ... وما لما حلّ بالإسلام سُلوانُ

دهى الجزيرةَ أمرٌ لا عزاء لَهُ ... هوى لَهُ أُحُدٌ وانهدّ ثهلانُ

أصابها العين في الإسلام فامتحنتْ ... حتى خلت منهُ أقطارٌ وبلدانُ

فاسأل بَلَنْسية ما شأن مُرْسِية ... وأين شاطبة أم أين جَيّانُ

وأين قُرْطبة دارُ العلوم ، فكم ... من عالمٍ قَدْ سَما فيها لهُ شانُ

وأين حمصُ وما تحويه من نُزَهٍ ... ونهرها العذب فَيّاضٌ وملآنُ

قواعد كنّ أركان البلاد فما ... عسى البقاء إذا لم تَبْقَ أركانُ

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلْفِ هَيْمانُ

على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عُمْرَانُ

حيث المساجد قد صارتْ كنائس ما ... فيهن إلاّ نواقيس وصُلْبانُ

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ

يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ ... إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ

وماشياً مرحاً يلهيه موطنهُ ... أبَعد حِمْصٍ تغرُّ المرءَ أوطانُ

تلك المصيبة أنْسَتْ ما تقدمها ... وما لها مَعَ طولِ الدهر نسيانُ

يا راكبين عتاقَ الخيل ضامرةً ... كأنّها في مجال السبقِ عقبانُ

وحاملين سيوفَ الهند مُرْهَفَةً ... كأنّها في ظلام النقعِ نيرانُ

وراتعينَ وراء البحرِ في دَعَةٍ ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ

أعندكم نبأ مِنْ أهلِ أندلس ... فقد سرى بحديثِ القوم رُكبانُ

كم يستغيث بنا المستضعَفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتزّ إنسانُ

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ ... وأنتمُ يا عباد الله إخوانُ

ألا نفوسٌ أبيّاتٌ لها هممٌ ... أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ

يا من لذلة قومٍ بعد عزّهمُ ... أحالَ حالهمُ كُفْرٌ وطغيانُ

بالأمسِ كانُوا ملوكاً في منازلهم ... واليومَ هم في بلاد الكفر عبْدَانُ

فلو تراهم حيارى لا دليلَ لهم ... عليهمُ من ثياب الذلِّ ألوانُ

ولو رأيتَ بُكاهم عند بيعهمُ ... لهالكَ الأمرُ واستهوتك أحزانُ

يا رُبَّ أُمٍّ وطفلٍ حيل بينهما ... كما تفَرَّقُ أرواحٌ وأبدانُ

وطَفلة مثل حسن الشمس إذ طلعتْ ... كأنّما هي ياقوتٌ ومَرْجانُ

يقودها العلجُ للمكروه مكرهةً ... والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمد ... إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

قصيدة الرندي من خلال يصف أهل الأندلس وغرناطة بعد توالي سقوط الحواضر الأندلسية في أيدي النصارى.

المقري، المصدر السابق، ج4، ص ص: 487، 488.

قائمة

البيبليوغرافيا

– قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم، برواية ورش.

أ– المصادر:

1– ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)(595–657هـ): الحلة السيراء، تح، تع: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985، ج2.

2– ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)(595–657هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1406هـ/1979م، ج2.

3– ابن الأثير(عز الدين الجزري)(555–630هـ)، اللباب في تهذيب الإنسان، ج3، مكتبة المثنى بغداد، العراق، دت.

4– الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) ، كتاب المسالك والممالك، مطبع بريل ليدن، 1870م.

5– الادريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس)(493–560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1466هـ/2006م .

6– عبد الباسط الظاهري(844–920هـ)، رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس، در، تح :عمر عبد السلام التدمري، (866–871هـ/1462–1467م)، الجامعة اللبنانية، طرابلس.

7- البخاري (أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل) (194-256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، (1463هـ/2006م)، رقم:19، ص:15

8- البكري (أبو عبيد البكري)،(ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب(جزء من كتاب المسالك والممالك)،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، (1857) .

9- ابن عبد البر(أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، 1412هـ/1992م.

10- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفـار (رحلة ابن بطوطة) تق، تح: محمد عبد المنعم العريان، مر، فر: مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان، ط1، 1407هـ/1987م.

11- التنبكتي أحمد بابا(963-1036)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إش، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1398هـ-1989م، ج1، ج2.

12-التنسي (محمد بن عبد الله بن عبد الجليل)، (ت 899هـ-1494م)، تاريخ بن زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر العقبان في بيان شرف بني زيان، تح، تع: محمود آغا بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر 2011.

13- ابن مريم التلمساني (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: ابن أبي شنب، مدرسة الآداب العليا، الجزائر، 1226هـ-1908م.

14- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، تح: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، لبينان.1984م.

15- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996م.

16- ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، مر، تق، تع: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، والنشر والتوزيع، 2009م.

17- ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين)،كناسة السكان بعد انتقال السكان، تح، محمد كمال الشبانة، مر: حسن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكتاب العربي، مصر، دط، دت.

18- ابن الخطيب (لسان الدين)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، د ط، القاهرة، مكتبة الثقافة، 1423هـ.

19- ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تح: كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1424هـ/2003م.

20- ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تص: محب الدين الخطيب المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1437هـ.

21- ابن خلدون عبد الرحمن (732-808هـ)، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تع: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج2، ج3، ج6، ج7، دار الفكر: بيروت، لبنان،1421هـ/2000م.

22- ابن خلدون(عبد الرحمن)، رحلة ابن خلدون غربا وشرقا، تع: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ-2004م.

23- ابن خلدون عبد الرحمن (732-808هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر العربي، بيروت، ط1 1997م.

24- ابن خلدون (أبو زكريا يحي)(734-780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق، تح، تع: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م،ج1.

25- الذهبي شمس الدين،تذكرة الحفاظ، تص: عبد الرحمان بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1374هـ.

26- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (643-748هـ)، سير أعلام النبـلاء ج23، تح: بشار عواد معروف محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ط11، 1417هـ، 1996م.

27- رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، تح: أحمد عزاوي، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقنيطرة سلسلة نصوص ووثائق، رقم2، ط1، مطبعة النجاح الحديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1422هـ/2001م.

28- ابن أبي زرع الفاسي(ت 741هـ)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

29- ابن أبي زرع الفاسي(ت 741هـ)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط: المغرب، 1392هـ/1972.

30- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)(1161م)، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، دط، دت.

31- الزجالي (أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي)،(617-694هـ) : أمثال العوام في الأندلس، تحق، شر، مق : محمد بن شريفة ، القسم الثاني ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب، 1975م .

32- ابن السماك العاملي،(أبو القاسم ابن ابي العلاء بن محمد بن محمد) ،(750ت ما بين 812.820هـ)، الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، تح: سهيل زكار عبد القادر زمان، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1399هـ/1979م.

33- السجستاني (أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي) ، سنن أبي داود، تح، تع: شعيب الأرنؤووط، محمد كامل، قرة بللي، ج6، دار الرسالة العالمية، دمشق سوريا طبعة خاصة (1430هـ/2009م، رقم: 4297.

34- ابن الشماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد) ابن الشماع (ت نحو843)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، تد: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ط2، 1401هـ/1984م.

35- الشنتريني (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني)(ت 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح:احسان عباس،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1(1399هـ-1979م)، ق4،ج1.

36- ابن سعيد المغربي(610-685هـ)، المغرب في حلى المغرب، تح، تع: شوقي ضيف، ج2، دار المعارف للقاهرة، مصر، ط2، 1964م.

37- العبدري (محمد البلنسي)، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428هـ/2007م.

38- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد (ت 695هـ)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج3، تح، تع: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/2013م، ج6

39- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد (ت 695هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم خاص بالموحدين، تح: محمد إبراهيم وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1406هـ/1985م.

40- العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي)،(ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ج4 .

41- الفاسي حسن بن محمد الوزان، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج1، ج2.

42- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس، تع، تد: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي تونس ط1 1429-2008 ج2 .

43- ابن فضل الله العمري شهاب الدين بن يحي(749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج4.

44- ابن قنفد(أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب)، تح: عادل نويهض منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م.

45- القلقشندي (أحمد بن ابي بن أحمد الغزاري)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ج10.

46- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله)(644-704هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، تع: عادل نويهض، دار الأفاق الجديد بيروت، لبنان، ط2، 1979م.

47- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1350هـ.

48- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1988م.

49- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد)(986-1041هـ) ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح، تع: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1359هـ/1940م، ج2.

50- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد)(986-1041هـ)،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، ج1،ج2،ج3،ج4، دار صادر ببيروت، لبنان، 1388هـ/1968م.

51- عبد الملك ابن صاحب الصلاة(594هـ-1198م)، المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1978م.

52- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)(630-711هـ)، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، ج7.

53-مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نش، تع :سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1985م .

54- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تق: محمد بن أحمد بن علي، الأصالة للنشر والتوزيع، ط2، دت.

55- مؤلف مجهول، كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بن نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، تع: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423هـ/1997م.

56- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

57- عبد الواحد (أبو محمد بن علي المراكشي)(581-647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1 1426هـ/2006.

58-عبد الواحد (أبو محمد بن علي المراكشي)(581-647هـ)،وثائق المرابطين والموحدين، تح : حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ط1، 1997م .

59- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي) (ت 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل المغرب، إش: محمد حجي، دط، 1401هـ-1981م، ج2.

60- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله)(574-626هـ) معجم البلدان، ج1-5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م.

61-النميري (ابن الحاج النميري)،(ت774هـ) فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، در، إع: محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م

62- النيسابوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم)، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ج1، باب الإيمان، رقم 208، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ب- المراجع:

63- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ-2004.

64- البشر محمد بن عبد الرحمن، مآسي الأندلس، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض السعودية، ط1، 1429هـ-2008.

65- الراوندي محمد ، أبو الفتح اليعمري حياته وأثاره وتحقيق أجوبته ، دراسة وتحقيق محمد الراوندي 1410هـ-1990م المملكة المغربية وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، ج1.

66-الزيدان عبد الله بن علي ، الأندلس قرون من المتقلبات و العطاءات، القسم الثالث الحضارة والعمارة والفنون مكتبة الملك عبد العزيز العامة،ط1، 1418هـ-1996م.

67- الزركلي خير الدين(ت 1396هـ)، الأعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2006م.

68- الشطشاط علي حسين ، نهاية الوجود العربي في الأندلس ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، مصر ،2001م.

69- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد) ، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، (القسم الثاني ج4)، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1418هـ/1997م.

70- خليفة حامد محمد، انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 1425هـ-2004م.

71- رستم محمد بن زيد العابدين ،بيوت العلم والحديث في الأندلس ،دار ابن حزم ،بيروت لبنان 1430هـ-2009م.

72- سالم السيد عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.

73- عبد الواحد طه ، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

74- مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، الأعمال الفكرية، دار الرشاد القاهرة مصر، سنة 2004م.

75-عبد الهادي التازي، الوسط في التاريخ الدولي للمغرب، دار نشر المعرفة ، الرباط المغرب، ج2، 1422هـ-2001م.

76- الصلابي علي محمد ، دولة الموحدين ن صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي دار البيارق للنشر –عمان، دت، دط.

77– آشباخ يوسف ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج2.1، ط 2، (1417هـ_1996م).

78- عز الدين احمد عمر موسى ، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي ، دار الشروق، بيروت ط1، 1403هـ-1983م.

79- عنان عبد الله ، دولة الاسلام في الأندلس الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2003، ج7، ص40.

80- فرحات يوسف شكري ، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية) ط 1 1413هـ-1993م دار الجيل ، بيروت لبنان، دط، دت.

81- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1، ج2.

82- فيلالي عبد العزيز ،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999م.

83- كرير علي أحمد كرير، المهاجرون الأندلسيون وتأثيراتهم على بلاد المغربين الأدنى والأوسط خلال القرنين(7-8هـ/13-14م)، جامعة الزاوية، ليبيا، ط1، 2013م.

84- مارسيه جورج ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصر الوسيط، تر: محمود عبد الصمد، الإسكندرية، 1991م.

85- مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، ط2، 2012، ج1.

86- واشنطن ايرقنغ، أخبار سقوط غرناطة ، ترجمة : هاني يحي نصري ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

87- راغب السرحاني ، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ-2001م.

88-محمد الشريف سيدي موسى، مدينة الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، تقديم: محمد الأمين بلغيث ، دار كرم الله للنشر والتوزيع 2011م.

89– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين16-17م، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1998م.

90– مارمول كربخال، افريقيا، تر: محمد حجي زنبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنحلون، دار نشر المعرفة، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م، ج2.

91– محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

ج– المجلات والدوريات:

92- شيخة جمعة ، صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسي ، مجلة دراسات أندلسية، عدد خاص (7) رجب 1412هـ جانفي 1992م مجلة علمية مختصة في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلامية المطبعة المغاربية للطباعة و النشر، تونس، دط، دت.

93- فؤاد طواهرة، المجتمع الاقتصاد خلال العصر الزياني (ق7هـ-9هـ/13هـ-15م)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد16 حزيران 2014،مجلة دورية محكمة، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ ،الجزائر، ص: 8.

94- كمال السيد أبو مصطفى، الأندلسيون في تونس وإسهاماتهم الحضارية منذ الق 7هـ إلى أوائل الق11هـ، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، د ط.

95- عزرودي نصيرة ، هجرة الأندلسيين السياسة إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ-13م إلى القرن 8هـ-14م، مجلة المواقف ، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ العدد04ديسمبر2009، مجلة أكاديمية ، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، منشورات جامعة معسكر-الجزائر.

د– الرسائل والأطروحات:

96- بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6-9هـ/12-15م، من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2009-2010م.

97- صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار (1434هـ-1435هـ-2013م-2014م).

98- عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7هـ-13م و دورهم الثقافي، مذكرة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران (1433-1434هـ) (2012-2013).

99- سعداني محمد، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط، من القرن السابع إلى التاسع الهجريين، من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، 1436-1437هـ/2015-2016م.

100- خلفات مفتاح سمية، البيوتات العلمية الأندلسية في المغرب الزياني (7-8-9هـ/13-14-15م)مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط 1433-1434هـ/2012-2014م.

الملاحق